على بن ربّن الطبرى

الرد على أصناف النصارى

مخطوطة نادرة تنشر لأول مرة



تحقيق وتقديم
خالد محمد عبده

مكتبة النافذة

الرد على
أصناف النصارى

تأليـف

علـى بن ربّن الطـبرى

تحقيق وتقديم

خـالد محمـد عبـده

الناشـــر

مكـتبة النـافذة

الرد على أصناف النصارى

تأليف: على بن ربّن الطبرى

تحقيق وتقديم: خالد محمد عبده

الطبعة الأولى ٢٠٠٥

رقم الإيداع ١٨٦٣٠/ ٢٠٠٤

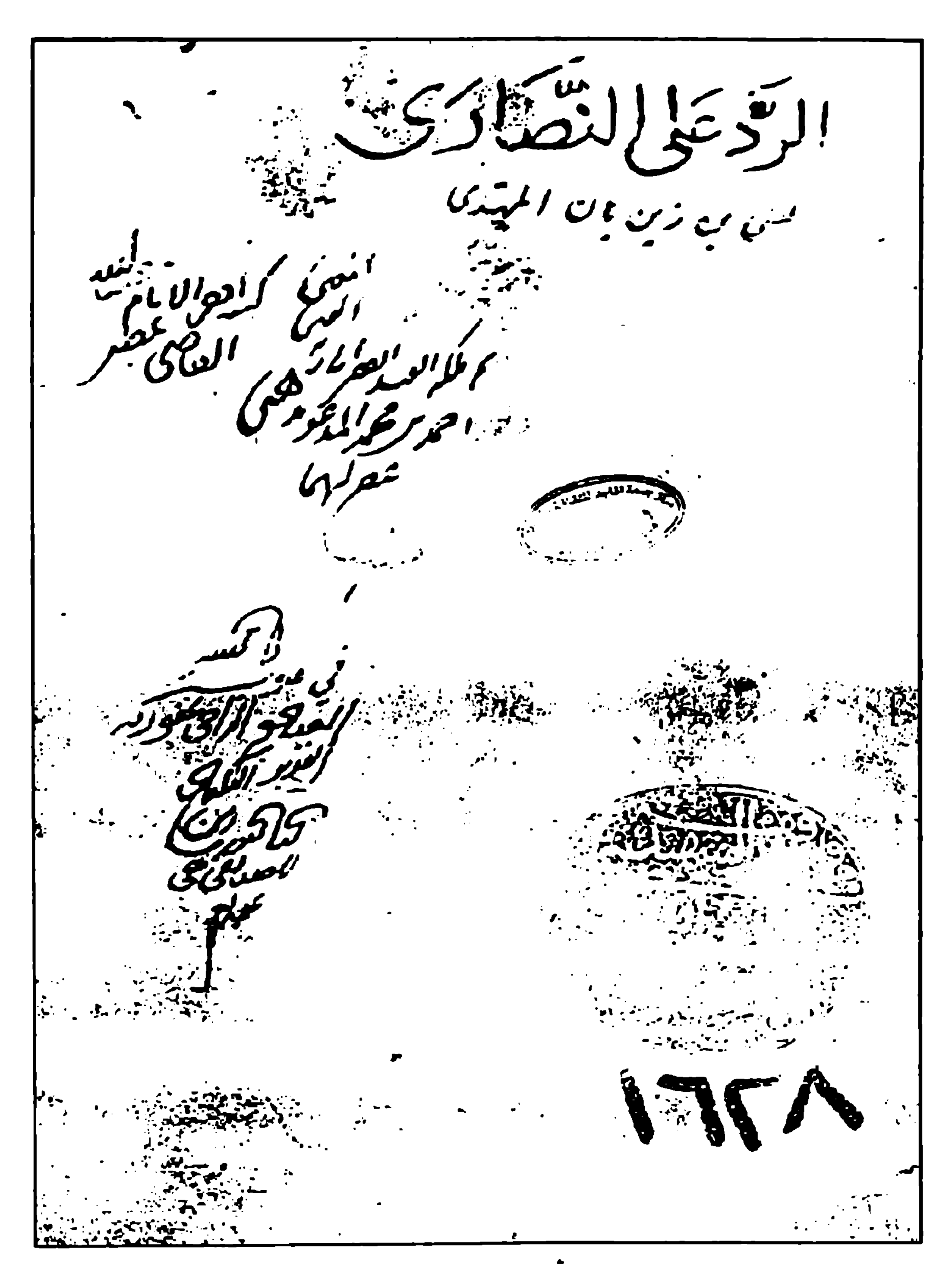


الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى - الثلاثينى - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٣



الرد على النصارى

١٦٢٨

الورقة الأولى فى المخطوط

المتعنت بل رأينا اعتراه في جسده داء فقطع عضواً من
أعضائه مخافة أن يسري الداء في جسده فيهلكه وما
أبشر هذا لأن الذي هو الغم العاجل وأما هلاك
النفس فيتوخى أن الأجل كما قال النبي عليه السلام [illegible]
[illegible]
[illegible]
كان هذا ردًا على المسيح عليه السلام ولا على أهل [illegible]
بل على من خالف المسيح والأناجيل وحرف الكلمات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ما هو عليه [illegible]
[illegible] الله تعالى [illegible]

أكرمنا بدين الإسلام ثم أسأل الأحبار عن سبع
مسائل بينها المشكلات [illegible]
المسؤول المنصف وتبكيته ولأن النصارى إن وافقون
عليها خرجوا من دينهم الذي يدينون به وإن خالفون
خالفوا التوراة والإنجيل ثم أتبع هذه المسائل
مسائل أخر تقوية للمسائل الأول وأذكر بعد ذلك
سبعة أوجه من التناقض والكذب التي في الأناجيل
وجدتها في شريعة إيمانهم ثم أذكر أصناف
النصارى وما يلزم كل صنف من الجحد في مذهبه
وأشرح ما معنى الأبوة والبنوة والحلول بوجوه من
البراهين لا محيص لهم منها ولا محيد عنها وأفسر
بعون الله تعالى الكلمات التي [illegible]
معانيها وأذكر [illegible] الموجود فيه فإذا

الورقة الثالثة من المخطوط

الورقة رقم ٤٥ ، وفيها ذكر علي بن ربن اسم كتاب (الرد على النصارى)

الورقة قبل الأخيرة المخطوط

وان كان هذا الضرب من الكلام مقبولا عندكم ان تقول

ان يسوع المسيح مسيح لكنه ليس بممسوح وان الايمان

وان كان هذا من الكلام محالا وسقطا فكذلك

ما قيل ان كان الابن والاب متكافيين في القدم

والقدم فاي فضل وسلطان للاب عليه امره ونهاه

فصار الابن تابعا ... متبوعا والاب متبوعا مطاعا

الورقة الأخيرة مما وصل إلينا من هذا المخطوط

مُقَدِّمَة

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور،وهدانا من التخبط والضلال إلى صراطه المستقيم ، والصلاة والسلام على نبي الإسلام،وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الإسلام أشرف الأعمال وأجلها ولذلك قال ربنا فى كتابه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت :٣٣) ولما كانت الدعوة هي الركيزة الأساس لإخراج العباد من دياجير الظلمات ، إلى أرجاء الضياءات، وطريق الهدايات، تكفل الله برعايتها، وكان من ذلك أن أرسل خير عباده رُسلاً مبشرين ومنذرين، لكي يعلموا الناس بالأساس الخلقي والغاية المنشودة، وينبهوهم إلى عظمة الخالق التي يستحق العبادة من أجلها.

ولما كانت الدعوة هي الحجة في الإيمان أوعدمه، أمر الله رسله بالبلاغ فقال:(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) (المائدة: ٦٧) وعلى مدار التاريخ العام للبشرية، من لدن آدم- عليه السلام- إلى محمد- صلى الله عليه وسلم- عرف الرسل مهمتهم ،فقاموا بواجبهم، وأدوا الأمانة التى

حملوها، وما قصّر واحدٌ منهم- صلوات الله عليهم وتسليماته- قدر أنملة فى أداء الواجب المفروض عليهم والذى بُعثوا من أجله وشاءت إرادة الله عز وجل ، أن يشرح صدور كثير من العباد إلى الإيمان بالرسالات وأن يطمس على قلوب من عزفوا عن الطريق الصحيح، ومن هنا كان المؤمن والكافر، الطيب والخبيث ، المعاند والمسالم ، وبدأت رحلة الصراعات البشرية، رسالة تتلوها رسالة، ونبى يتلوه نبي، وتوالت الرسل تترى إلى الناس في كل فترة من الزمن حتى انتهى المد الإلهي للعقل البشري الضال عن طريق الإرسال ، فختم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الأنبياء، وبشريعته السمحاء كل الشرائع.

ومن بعد النبى صلى الله عليه وسلم تكفل المسلمون بحمل لواء الدعوة ونشرها في جميع الأقطار والأمصار، لهداية الناس جميعًا إلى دين الله الواحد القهار.

وقد آتت ثمار الدعوة أكلها وشرّق الإسلام في الأرض وغرب [1] وشق بعبيره في الرياح العاتية طريقًا مازال مرسومًا حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ولقد كانت الطريقة الرئسية في الدعوة، والأسلوب المنهجي الصحيح الذي اتبعه حملة لواء الدعوة معتمداً على الحكمة والموعظة الحسنة ، فإن تحتم الجدال والمحاورة والمناظرة فبالتي هى أحسن ممتثلين في ذلك إلى قول الله تبارك وتعالى:(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (النحل:١٢٥).

ولقد حمل الدين الإسلامي في طيّاته الشريفة، قوة الدليل، ونصاعة البرهان، ومتانة الحجة، ويُسر الكتاب، ووضوح العقيدة وبساطتها، وكمال الشريعة وعظمتها،

(١) شق الإسلام إلى معظم أقطار المعمورة ، حتى أصبح - الآن - الدين الثاني بعد النصرانية من حيث عدد معتنقيه . وبلغ تعداد المسلمين ١,٢ بليون نسمة وفقًا لإحصائيات الأمم المتحدة . يعيش منهم نحو تسعمائة مليون في أكثر من ثمانين دولة وقرابة الثلاثمائة مليون يتوزعون أقليات في مختلف دول العالم (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب - نشرة دار الندوة العالمية - الرياض).

وعلو الهمة ورفعتها، وسمو الأخلاق والآداب ،الأمر الذى لفت أنظار الكثيرين من أرباب الديانات الأخرى، وأصحاب المذاهب المتفرقة، الذين قارنوا بين أديانهم ومذاهبهم ومللهم على اختلاف أنواعها وبين الإسلام فوجدوا فيه ما فيه، ورأوا في أديانهم ركاكة الدليل وخوره، ووهاء الحجة ونقصها، ولخبطة العقيدة واختلالها، وصعوبة الكتاب وتناقضه وانحطاط الهمة، وانبجاس القيم والآداب، وعوز الشريعة إلى تمام.

إلى جانب التلفيق والتزوير والتحريف في أصول الدين ومعتقداته، الأمر الذي حملهم على رفض دينهم من أساسه، والبحث عن دين يجدون فيه مآربهم وينشدون فيه غايتهم، ولما قرأوا في الدين الإسلامي، ومن أول وهلة ارتاحت قلوبهم، واطمأنت نفوسهم، لأنها قراءة اعتمدت على الله في توجهها وما غايتها إلا طلب الحق ورضا الله.

الطائفة المباركة وعملها العظيم:

أسهم المهتدون إلى الإسلام إسهامًا عظيمًا في الحركة الدعوية الإسلامية بنتاجهم العملي الذي قدموه للبشرية والذي يكشف عن مدى سعة ثقافتهم وتضلعهم في علم الأديان المقارن، الأمر الذي أفصح عن معايب هذه الأديان وكشف عوارها وخورها.

فلقد قاموا بحركة نقدية للكتاب المقدس اعتمدت على خصائص ومميزات أكسبتها قيمة علمية رفيعة- كما يقول أستاذنا الدكتور الشرقاوى [1]- وهذه الخصائص هي:

١- سلامة المنطق وصحته إلى جانب اعتمادهم على القياس مما يعطي دراساتهم صفة علمية رفيعة.

٢- العقلية أو (العقلانية) الصارمة في البحث إلى جانب الأخذ بالنقل، فهم يخاطبون قوماً هم أدرى بهم ، فأول ما يبدأون معهم، لابد وأن ينطلقوا من العقل، ويعضدوا وجهة نظرهم وحجتهم بالنقل من كتبهم ووثائقهم.

٣- الاعتماد في النقول على النصوص الأصلية للكتاب المقدس، باللغة السريانية والعبرانية، فينقلون عنها ويترجمونها، مما يضفي على دراساتهم وثائقية كبيرة.

٤- حسن الترتيب والتقسيم، ولا شك في أن هذه الميزة أتت من ممارستهم للعلوم الكونية(الرياضية ،الفلكية ،الطبية ، الطبيعية) التي من شأنها أن تكسب الدارس هذه الميزة.

---

(١) راجع ما كتبه د: محمد عبد الله الشرقاوي في مقدمات تحقيقاته العلمية لكتب المهتدين إلى الإسلام وغيرهم أمثال: (الرد الجميل) للإمام الغزالي ، (إفحام اليهود) للسوأل بن يحيى المغربي ، رسالة الجاحظ في الرد على النصارى ، ومسالك النظر في نبوة سيد البشر لسعيد بن حسن الإسكندراني ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية لنصر بن يحيى وغيرها من الكتابات في علم مقارنة الأديان ، الذي اعتنى به - حفظه الله - عناية كبيرة وما زال يُسهم في تأسيس مناهجه وتحقيق رسائله

٥- قوة الجدل وبراعة الاحتجاج، الأمر الذي يضع كتابتهم في مقدمة التأليف في علم الكلام والجدل الديني، وقد تميز جدالهم بإرادة الحق ونشدانه، من أجل تمييزه عن الباطل، فلم يكن جدلهم من أجل هوى الغلبة وشهوة الانتصار على الخصم، الأمر الذي امتلأت به المؤلفات الكلامية، وأثر تأثيرًا كبيرًا فيها، مما شغل الناس وملأ الدنيا بخلافات ركيكة، لاتمس لب الدين ولاجوهره ،وشتت الخلف إلى أي مذهب ينتسبون، وأي طريقة يتبعون.

٦- تمكنهم من اللغات التي كُتبت بها الكُتب والرسائل المقدسة لدى اليهود والنصارى الأمر الذي جعلهم على دراية واسعة بهذه المصادر، مما سهل عليهم عملية النقد الصحيحة إلى جانب تمكنهم من اللغة العربية.

هذه هي بعض الخصائص التي أكسبت كتابات هذه الجماعة المباركة هذه المكانة العلمية الرفيعة، ولقد استرعت هذه الكتابات انتباه كثير من العلماء في الشرق والغرب على حد سواء، ولكن العلماء الشرقيين ونخص منهم المسلمين هم أصحاب السبق في هذا الانتباه، فقد فتحوا أعينهم أمام هذه الدراسات وقرأوها وفهموها وأخذوها، فطوروا مناهجها ، وقننوا لها، وكتبوا فيها، الأمر الذي استرعى انتباه الغربيين لكنه كان في وقت متأخر، فلم يظهر[1] علم مقارنة الأديان في الغرب، إلا في منتصف القرن التاسع عشر، ومنذ ذلك التاريخ تنافست جامعات الغرب في دراسته وتدريسه، أما نحن في العالم العربي والإسلامي فقد أهملناه إلى حد بعيد ، مع أن الأسلوب الدعوي الصحيح الذي يحتاج إليه غير المسلمين، لن نستطيع النفاذ إليه إلاّ عبر بوابة علم مقارنة الأديان.

وقد امتدت هذه الطائفه المباركة، وبحوثها العلمية، منذ فجر التاريخ الإسلامى

---

(١) راجع ما كتبه الأستاذ الدكتور عبد الله الشرقاوي في كتابه ((مقارنة الأديان)) ، الأستاذ العقاد في كتابه ((ما يقال عن الإسلام)).

حتي العصر الحديث وهم كثيرون جداً نذكر منهم على سبيل المثال:

× على بن ربنّ بن سهل الطبري كان نصرانيًا ثم أسلم سنة ٢٤٧هـ، وكان عالماً في الطب والإنجيل ، كتب من الكتب في الطب الكثير أهمها:

-كتاب فردوس الحكمة ونشره الدكتور محمد الزبير الصديقي في برلين،

وكتب في علم الأديان كتابين من أروع ما كُتب، وقد اعتمد عليه معظم من كتب في هذا العلم من بعده دون الإشارة إليه أو التصريح، وهما:

١- الدين والدولة في إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو سفر عظيم القيمة طُبع بتحقيق الأستاذ عادل نويهض في دار الآفاق ببيروت.

٢- الرد على النصارى، وهي موضوع دراستنا في هذا الكتاب.

× الحسن بن أيوب كان يعيش قبل سنة ٣٨٠هـ، كان نصرانيًا فأسلم ثم صار من المتكلمين، وكتب رسالة إلى أخيه علي بن أيوب يذكر له فيها سبب إسلامه ويذكر الأدلة على صحة دين الإسلام ومزاياه ، وبطلان دين النصارى[١]

× أبوعلي يحي بن عيسى بن جزلة الطبيب، صاحب كتاب المنهاج في الطب، كان نصرانيًا ثم أسلم سنة ٤٦٦هـ، وصنف رسالة في الرد علي النصارى ، وبيان عوار مذاهبهم، ومدح فيها الإسلام ، أقام الحجة على أنه الدين الحق ،وذكر فيها ما قرأه في التوراة والإنجيل من ظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم[٢] ، وهو صاحب الرسالة المشهورة في جدل إيليا مطران نصيبين الاهوتى المعروف ، توفي سنة ٤٩٣هـ .

(١) وهذه الرسالة قيد التحقيق من قِبَلنا.

(٢) وتعد هذه الرسالة من مفقودات التراث ، لكننا نبحث عنها فعسى الله أن يأتي بالفتح.

× نصر بن يحي بن عيسى بن سعيد المتطبب، اشتهر بلقب المهتدي ، وكان نصرانيًا فأسلم وكتب كتاباً في الرد على النصارى أسماه (النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية) بين فيه تناقض عقيدتهم ،واختلاف أقوالهم ومذهبهم وذكر فيه معجزات المسيح وخصص فيه فصلاً كاملاً في الدلائل على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[١].

× السموأل بن يحيى المغربي كان حبرًا يهوديًا ثم أسلم وكتب كتابه الفريد (إفحام اليهود) توفي سنة ٥٧٠هـ .

×سعيد بن الحسن الإسكندراني كان يهوديًا ثم أسلم وكتب كتاب (مسالم النظر في نبوة سيد البشر).

ومن علمائهم المحدثين: محمد أسد (ليوبولد فايس) وإبراهيم خليل إبراهيم (إبراهيم فيلبس) ، وعبد الكريم جرمانوس ، وموريس بوكاي وغيرهم كثير.

---

(١) طبع هذا الكتاب عدة طبعات ، أفضلها ما نشرة أستاذنا الدكتور عبد الله الشرقاوي

المؤلف والرسالة

(×) على بن ربّن الطبري

هو أبو الحسن بن سهل بن ربّن[1] الطبري، أحجمت كتب التراجم والتواريخ عن ذكره إلا النزر اليسير، وهذا النزر لايجعل المرء يفصل الحكم في هذه الشخصية، فلا يخلو ذكره من اختلاف في الأقوال سواء في اسمه أو في ديانته ، وأحياناً تذهب الأقوال إلى حد الخلا ، وأحياناً يجعلون منه شخصيتين، لكن يبقى علينا الاجتهاد في التوفيق بين المصادر حتى نتعرف على الرجل ولو إلى حد غير بعيد نكون على دراية بالجانب السيري لهذا الرجل، ويشتمل هذا الجانب على:

اسمه ولقبه وكنيته ومولده ووفاته ، شيوخه ، مكانته العلمية ، ومؤلفاته.

أما عن اسمه فهو : على بن سهل.

ولقبه : الطبري ،وذلك نسبة إلى طبرستان، وُيلقب بالمهتدى، وذلك نسبة إلى اهتدائه إلى الصراط المستقيم والدخول في حظيرة الإسلام الشريفة، ويلقب بمولى أمير المؤمنين، ولقبه به المتوكل الخليفة العباسى، نظرًا لقربه منه وجعله من ندمائه.

أما عن مولده، فيرجع بروكلمان (في تاريخ الأدب العربي الجزء الثاني ٦٧٢) أن علي بن سهل الطبرى، ولد بمرو في حدود سنة١٩٢هـ-٨٠٨م، وأظن أن بروكلمان

(×) انظر ترجمته في :

تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ص ٢٢.٢٣، وحكماء الإسلام لابن القفطي ص ٢٣١، وهداية العارفين للبغدادي ١ /٦٦٩، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٧ /١٠٦، الوافي بالوفيات للصفدي ٢١ /١٥١، ومروج الذهب للمسعودي ٥ /٢٢٣، ٧ /٥١٥ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان النشرة العربية ٢ /٦٨١، محمد كرد على كنوز الأجداد ٧١ - ٧٣، شيخوا في المخطوطات العربية ١٤٨ ، ١٤٩، ومجلة العروة ٣٨.٣٩.٤٠ سنة ١٩٣٦ ومجلة الآدب الشرقية جامعة القديس يوسف - بيروت ج ٣٥ س ١٩٥٩ والمعجم الشامل للتراث المطبوع .

(١) كلمة ربن هذه صفة ، تطلق على من له تقدم في اليهود ، والروبن والربين والراب هم أسماء لمقدمي شريعة اليهود ، وقيل في تفسير ربن : المعلم المعظم . راجع : مقدمة إفحام اليهود للسموأل بن يحيى المغربي .

قد أخطأ في تأريخه لمولده حيث إن علي بن ربن نفسه نص في كتابه (الرد على النصارى) أنه أسلم بعد سن السبعين من عمره، كما نص أيضًا على أنه انتهى من تأليف كتابه(فردوس الحكمه) بعد ثلاث سنين من خلافة المتوكل وكان وقتها قد أسلم ودخل في جملة ندماء المتوكل، فإذا كان المتوكل قد دخل في الخلافة سنة٢٣٢ هـ ، وابن ربن أسلم في آخر خلافة المعتصم وبداية عصر المتوكل فإنه يترجح لدينا أن ابن ربن قد ولد قبل سنة١٦٢هـ .

كما أخطأ بروكلمان في تأريخه لعلي بن ربن حينما ذكر أنه انتهي من تأليفه لكتاب فردوس الحكمة في الطب قبل خلافة المتوكل، لأن علي بن ربن نفسه قد ذكر أنه فرغ من تأليف هذا الكتاب في عصر المتوكل بعد ثلاث سنين من تولية الخلافة.

أما عن تاريخ وفاة ابن ربن، فلم يتعرض أحد ممن أرخ في القديم أو الحديث لسنة وفاته، عدا الدكتور محمد زبير الصديقى، في نشرته لكتاب فردوس الحكمة فقد قال في مقدمة الكتاب(يسوغ لنا الحكم البات الذي لا يدع للشك مجالاً أنه توفي بعد سنة٨٥٠م وهذا محض اجتهاد منه لايقوم على دليل مادى، لكنه جهد مشكور قدم خطوة كبيرة في معرفة هذا العَلَم.

لكنني أرجح بعد بحث واستقصاء أن ابن ربن توفي سنة ٢٣٧هـ ،أى مايوافق ٨٣٧ م، ويعنى ذلك أنه مات في خلافة المتوكل نفسه.

وخلاصة الأمر : أنه ولد سنة١٦٢هـ ، وتوفي سنة٢٣٧هـ تقريبًا.

أما عن شيوخه وأساتذته:

فقد كان على من أسرة برعت في العلوم، وتولت أهم الأعمال لولاة طبرستان فقد ذكر أن عمه(أبا ذكار يحيى بن النعمان) كان مشهورًا بالجدل والبراعة، ومعروفا في أفق العراق وخرسان، ولا شك أن تربية علي بن ربن في محيط هذه الاسرة، أفادته كثيرا واستفاد من عمه خاصة في جداله البارع في الرد علي النصارى.

كما كان أبو علي (سهل بن ربن) من أمهر الناس ، ذوي الأحساب والأنساب فكان معروفاً بعلو الآداب ، وكان من أكابر القوم وعليتهم، صاحب براعة ونفاذ في كتب الطب ، والفلسفة ،وكان يقدم الطب على صناعة آبائه، ولم يكن مذهبه فيه التمدح والاكتساب[١] بل التأله والاحتساب ، فلقب لذلك بربن، وتفسيرة : معلمنا وعظيمنا[٢]

أما عن ثقافته:

فقد كان على بن ربن الطبري عالماً بالطبيعيات ،والإنجيل ،والآداب، والطب، وقد قام بالتأليف في شتى العلوم، وقد قام بتثقيف علي بن ربن وتعليمه أبوه، فقد علمه العربية نطقًا وكتابة وفنًا وأدبًا، والسريانية والعبرانية واليونانية أيضًا ، ومما يدل علي تعليمه فن العربية وآدابها أن ابن ربن كان قويًا فى العربية وأدبها حتى قام بتأليف كتاب في الآداب والأمثال، كما ذكر ابن النديم في فهرسته، والدليل على أنه كان له بعض اليد بالألسن الأخرى أنه شحن كتبه التي وصلتنا ببسط القول من الاستشهادات من اللغة اليونانية كما هو الحال في (كتاب فردوس الحكمة) واللغة السريانية والعبرانية أيضًا. ووجدنا في كتابيه(الدين والدولة) و(الرد على النصارى)[٣] أنه ينقل عن نسخ الإنجيل المكتوبة بلغات القوم(السريانية العبرانية).

(١) راجع ما حكاه ابن ربن عن أبيه في (فردوس الحكمة) ص ١ من نشرة برلين سنة ١٩٢٨ م .

(٢) راجع في ترجمته : تاريخ الحكماء لابن القطفي ص ١٨٧ نشرة بغداد .

(٣) راجع الرد على النصارى لوحة (٤) وجه (١) مخطوطة مكتبة شهيد علي باشا ١٦٢٨ .

ومما يؤكد براعته في تلك اللغات ترجمته لكتاب (فردوس الحكمة) إلى اللغة السريانية.

كما علّمه أبوه فن الهندسة ، والفلسفة ، ومما يدل على ذلك بسط ابن ربن القول في الهندسة والفلسفة في فردوس الحكمة.

وبعد فراغه من التعليم توجه من طبرستان إلى العراق وأقام هناك وأخذ يتطبب فيها ولحذَقِه في الطب ترك له في العراق دويًّا وصيتًا طائرًا، وفي هذه الايام راجع أهم كتب الشاميين، واليونانيين والهنديين، وفي غضون مراجعة تلك الكتب خطر بباله أن يؤلف كتابًا جامعًا يكون للطلبة في الطب معولاً ودليلاً، فأخذ يبدأ في تصنيف كتابه(فردوس الحكمة)، وبينما هو مشتغُل به إذ حدث حادث صرفه عن التأليف، وغيّر وجهة حياته عما كان عليها، وذاك أن المأمون ، سمح لمازيار بن قارون الذي كان من أبناء ملوك طبرستان بلقب أمير المؤمنين وولاه جبال طبرستان ، فترك ابن ربن التطبب وتولى كتابة مازيار، وبقي على هذا المحل إلى أن قُتل مازيار، وقد اكتسب حسن أحدوثة ونفاذ قول في أهل طبرستان وعند مازيار أيضًا.

ولم يزل هناك مُبجلاً رفيعًا، كما يظهر من أن مازيار بعثه مع من بعثهم إلى أسارى طبرستان، ليحملهم إلى أداء الجباية، ولما تأكد لدى مازيار أنه لا يفلح في خروجه على الخليفة أشار إلى علي بن ربن أن يستعطف قائد الخليفة، ويطلب لنفسه الأمان منه [1] فلما نجح في سعيه توجه إلى ريّ وعاد فيها إلى التطبب ثانيًا، وهاهنا- كما يقول القطفي- أخذ أبو بكر الرازي يقرأ عليه الطب، وبعد برهة تولى الكتابة في ديوان المعتصم.

---

(١) راجع ذلك :

* تاريخ الرسل والملوك للطبري
* تاريخ طبرستان ص ١٤٧ . ١٤٨
* تاريخ الحكماء لابن القطفي ص ١٨٧ وما بعدها .
* مقدمة كتاب فردوس الحكمة ص ٣٢١ وما بعدها .

وعن إسلامه: تذكربعض المصادر أنه أسلم على يد المعتصم بعد أن دعاه إلى الإسلام، على حين تذكر المصادر الأخرى أنه أسلم على يد المتوكل حتى إنه لقبه بعد ذلك بمولى أمير المؤمنين، ولشرف جعله من جملة ندمائه.

كما اختلفت المصادر أيضاً على ديانته ما قبل الإسلام ، فذكر البغدادي وغيره أنه كان يهوديًا ، وذكر البعض الآخر أنه كان نصرانيًا، ولعل الذي لبّس الأمر عليهم لقب أبيه (ربن)[1] لأن كلمة ربن تعني المعظم عند اليهود أوالمقدم للشريعة، لكن ابن ربن فسرها بعظيمنا ومعلمنا، والذي يفصل في هذه المسألة ويقطع الشك كلام ابن ربن نفسه.

فقد ذكر في كتاب (الدين والدولة في أثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) أيام نصرانيته قبل إسلامه، وأورد فيه ذكر عمه النصرانى.

كما ذكر في كتابه (الرد على النصارى) عند حديثه عن سبب تأليف هذا الكتاب ما نصه:

(ولقد دعانى القديم من ذلك إلى أن ألفت كتابى هذا للتنصل من دين النصرانية والإعذار والنصيحة للنصارى)[2].

وهنا نستطيع أن نجزم بنصرانيته قبل الإسلام، ونقول إنه قد ظهر الصريح من الأمر وأصبحت يهوديته هباءً منثورًا.

---

(١) يذكر الدكتور محمد زبير الصديقي في مقدمة نشرته لكتاب فردوس الحكمة : أن هذه الاختلافات في أقوال المصنفين العرب والمؤرخين أصبحت مغواة لمن جاء بعدهم من المصنفين وأضلت كثيرًا من المستشرقين فظن بعضهم أن علي بن سهل رجلا وعلي بن ربن رجلاً آخر . وجعل أحدهما شيخًا لأبي بكر الرازي وثانيهما تلميذًا له وأول لفظ (ربن) إلى (زين) وجعله زينة طبرستان ، وجعل بعضهم أباه من عظماء صومعة النصارى حتى يخرج من هذا الخلط . ولعل توجيه علي بن ربن أنق وأفضل من توجيه هذا المستشرق .

(٢) راجع الورقة الأولى من المخطوط .

النتاج العلمي (تآليفه):

بعد هذه الجولة السريعة في حياة وسيرة المهتدى علي بن ربن الطبرى، علمنا أنه برع في الآداب وفي الطب ، وفي العلوم الدينية، فقد كان حكيماً مُعلما، ومما أثر عنه من الحكم والأمثال :

× السلامة غاية كل سول.

× طول التجارب زيادة في العقل.

× التكلف يورث الخسارة.

× شر القول ما نقض بعضه بعضًا.

× الطبيب الجاهل مستحث الموت.

وخلف على بن ربن تآليف كثيرة منها ما وصل إلينا ومنها ما لم يصل، ومنها ماذكره أصحاب التراجم، ومنها ما لم يذكر ، أما المذكور في الكتب عنه:

١- الكُناش أو فردوس الحكمة:

وهو كتاب في الطب ، صنفه ابن ربن لكي يكون مرجعًا للطلاب ميسرًا وسهلاً وجامعًا لكثير من فنون العلم ، ومخطوطات هذا الكتاب كائنة في: برلين ٦٢٥٧، والمتحف البريطاني في أول ٤٤٥، وآيا صوفيا ٤٨٥٧، وقد قام بنشر هذا الكتاب الدكتور محمد زبير الصديقي في برلين سنة ١٩٢٨.

٢- كتاب حفظ الصحة:

ويقال إنه اعتمد في هذا الكتاب على مرجعية يونانية وهندية، وقال عنه (مايرهوف): إنه يساوي كتاب اللؤلؤة وهو عن علم الصحة ، وهذا الكتاب مخطوط في آيا صوفيا رقم ٣٧٢٤ ، ٢٣٦٦.

٣- كتاب الدين والدولة في إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

وهذا الكتاب نشره الأستاذ (منغانة) في القاهرة، وترجمه إلى الإنجليزية، وقد طُعن في صحة هذا الكتاب إليه، لكن بعض المستشرقين فند اعتراضات نسبة الكتاب إليه ودحضها، وهذا سفر عظيم القيمة استفاد منه فيما بعد معظم من كتب عن نبوة سيدنا محمد وخاصة المهتدون إلى الإسلام ، وقد نشر مرة أخرى بعناية الأستاذ عادل نويهض في دار الآفاق ببيروت، لكن هاتين النشرتين اعتمدتا على مخطوطة ناقصة، وبعض كلماتها مطموس ، فقام (منغانا) بنشر الكتاب ولم يذكر أية بيانات عن المخطوطة، وجاء بعده(عادل نويهض) واعتمد في نشرته على نسخة منغانا، وبسبب عدم ذكر بيانات عن المخطوطة المعتمد عليها، اختلط الصواب بالخطأ في شأن الكتاب، وكنت أظن أن العقل لن يحسم أمرًا في شأن كتاب الدين والدولة إلى أن يَسَّر الله لى العثور على نسخة فريدة، عديمة النظير من كتاب الدين والدولة، ولعل نقلى لما كُتب في بداية المخطوط على أول ورقة يغني عن الكلام ، فكُتِبَ عليها ما يلي :

(كتاب الدين والدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لمؤلفه الحافظ المتقن العلامة النحرير علي بن (ربن) الطبري رحمه الله تعالى، نُقلت هذه النسخة عن نسخة مكتوب عليها مايلى:

استكتب هذه النسخة المباركة العديمة النظير بالقسطنطينية المحمية في سنة الألف ومائة وثمان وستين، عن نُسخة كتبت قبل هذا التاريخ بخمسمائة واثنتين وخمسين، وقد نُقلت تلك النسخة عن نسخة المصنف، برسم الصاحب جمال الدين بن أبى المنصور...) .

وتتميز هذه النسخة بزيادات ليست بالمنشورة ، وهي كاملة أيضًا ، وبها تعليقات ، وعليها حواشي ، وأمور أخَر أذكرها- إن شاء الله- في نشرتي لها عما قريب .

٤- كتاب الرد على النصارى :

وهذا الكتاب كان في حكم المفقود إلى أن عثرنا عليه- بفضل الله- ولم يذكره أحد ممن ترجم لعلي بن ربن ، لكن نسبة الكتاب إليه صحيحة ومؤكدة ، لأنه نص في كتابه الدين والدولة (ص:١٥٤) أنه صنف كتابًا في الرد على النصارى، وهذا الكتاب هو موضوع الدراسة .

٥- كتاب تحفة الملوك .

٦- كتاب في منافع الأدوية والأطعمة والعقاقير .

٧- كتاب في الأمثال والآداب على مذهب الفرس والروم والعرب

٨- كتاب عرفان الحياة .

٩- كتاب في الرُّقي .

١٠- كتاب في الحجامة .

١١- كتاب بحر الفوائد .

١٢- وأخيرًا الترجمة السريانية لفردوس الحكمة التي أشار إليها المصنف فيه.

عصـره

عاش علي بن سهل بن ربن الطبري في الفترة ما بين (١٦٢هـ ٢٣٧-هـ) وهي الفترة التي عُرفت في التاريخ باسم العصر العباسي الأول (الذهبي) حيث قوة الخلفاء وسيطرتهم على أجهزة الدولة واتسمت هذه المرحلة بوحدة الأقاليم في ظل الدولة، عدا الأندلس الذي بقي تحت الحكم الأموي ، ومن ثم فقد ظل منفصلاً عن الدولة العباسية .

اولاً : الحالة السياسية :

عاصرعلي بن ربن الطبرى ثمانية من خلفاء بني العباس هم :

١- المهدي : الذي اعتلى عرش السلطة سنة (١٥٨هـ / ٧٧٥ م- ١٦٩هـ /٧٨٦ م) وقد اهتم بالإصلاح وحماية الدين وكان شديدًا على الزنادقة والملحدين .

٢- الهادي : تولى السلطة سنة واحدة (١٧٠هـ / ٧٨٧ م) وقد تعرض هذا الخليفة لنفوذ أمه وسيطرتها عليه حتى انتهى الأمر بقتلها إياه عن طريق دس السم له في الطعام .

٣- هارون الرشيد : تولى الخلافة من سنة (١٧٠هـ - ١٩٣ هـ) وانطوى عصر هارون الرشيد على الازدواجية في كل شيء- إن صح التعبير- فملأ بالإيجابيات والسلبيات ، بالخير والشر ، وأصبح المؤرخون إزاء مايُنسب إليه فى إضطراب واختلاف يصعب معه تحديد وجهة عصره إلى أين تسير ، لكنه يمكن القول بأن عصره ليس العصر الذهبى للدولة العباسية كما يذكر البعض ، لن البرامكة في عصره قد استبدوا بالحكم وتسيير الأمور .

٤- الأمين : (١٩٢ هـ ١٩٨-هـ) وكان الأمين كثير اللهو واللعب ، منقطعًا إلى ذلك، مشتغلاً به عن تدبير مملكته ، وتميز عصر الأمين بالصراع على السلطة بينه وبين أخيه المأمون ، ذلك الصراع الذي يتنافى مع كل القيم الدينية والأخلاقية حتى صار علامة مميزة لعصره .

٥ - عبد الله المأمون : (١٩٨هـ - ٢١٨هـ) كان المأمون من أعظم الشخصيات التي تولت منصب الخلافة العباسية فكان أفضل رجال بني العباس حزمًا ، وعزمًا، وحلمًا ،وعلمًا ، ورأيًا ، وله محاسن وسيرة طويلة ، لولا ما آتاه من محنة الناس في القول بخلق القرآن ، ولم يل الخلافة من بني العباس أعلم منه .

ولقد شهد عصره ثورات كثيرة ولعل أبرز ما ميز عصره محنة القول بخلق القرآن التي امتدت إلى عصر المعتصم .

٦- المعتصم بالله : (٢١٨هـ - ٢٢٧هـ)

برزت في عصره مشكلة خلق القرآن ، ومن أجل القول به والحفاظ على مذهب المأمون عذب المعارضين لمذهبهم ، من أمثال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل الذي سجنه ثمانية وعشرين شهرًا .

٧- الواثق بالله : (٢٢٧هـ - ٢٣٢هـ) إن اهم ما يميز عصر الواثق بالله أن الأتراك تزايدوا ، ووصل بعض قادتهم إلى مراكز سامقة ، ونشطت المناظرات العلمية في عصره حتى يمكن القول بأنه كان مسئولاً عن الدعاية لمذهب المعتزلة إلى حد التطرف في اتباعه ، حتى قيل : إنه في سنة ٢٣١هـ كان لا يفتدى من أسرى المسلمين لدى الروم ، إلا من قال بخلق القرآن .

٨- المتوكل على الله :(٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ) وكان عصر المتوكل بداية الضعف والخور الذي دبّ في أعضاء الخلافة ، فتمكن الأتراك من الأمر ، وزالت هيبة الخليفة ، وانحدرت مكانته ، فصار المتوكل في عصره خاضعًا لإتياخ القائد التركي ، الذي صارت بيده معظم الأمور(١) .

ثانيًا : الحالة الاجتماعية :

عاش المجتمع الإسلامي خلال هذا العصر في نظام طبقي ، يتشكل من طبقتين رئيستين هما :

طبقة الخاصة : التي كانت تضم الخلفاء والأمراء والوزراء والقضاة والولاة وكبار العلماء والفقهاء والأثرياء وكبار التجار .

وطبقة العامة : التي شملت الفقراء من التجار والمزارعين وأرباب الحرف فضلاً عن طائفة المعدمين .

وعلى حين تَنَعَّمُ الطبقة الأولى بملذات الحياة ، من سكنى القصور ، وأطايب الطعام وأفخر الفرش ، يتكفف العامة أرزاقهم ، فلا يجدون طعامًا يؤكل أوشرابًا يرطب الجوف ، ويتوسدون الثرى ، ويتلحفون السماء ، ويلبسون الرثة .

(١) لمزيد من التفصيل راجع : الكامل لابن الأثير جـ٥ ط دار الكتب العلمية ، المنتظم لابن الجوزي ، تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ٨ ، ٩ ، ١٠ دار المعارف ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ط المكتبة التجارية ، العباسيون في التاريخ د/ علي حبيبة ط مكتبة الشباب ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ط الهيئة العامة للكتاب، الدولة العباسية للشيخ الخضري ، مروج الذهب للمسعودي جـ٢ ، والأغاني للأصفهاني ، قضايا ومواقف من التاريخ العباسي لهاشم عبد الراضي دار الثقافة العربية ، وموسوعة التاريخ الإسلامي جـ٣ للدكتور أحمد شلبي ط مكتبة النهضة المصرية .

ثالثاً : الحالة الاقتصادية :

اتسم العصر العباسي بالرخاء الاقتصادي الشديد ، لكنه كان على المستوى الطبقى ، فالطبقة الخاصة في ترفٍ وإسراف ، والطبقة العامة في فقر وفاقة شديدة.

ولقد كان هذا العصر فترة حاسمة في تطور الحياة الاقتصادية في العراق ، فاتخذ الإقطاع لأول مرة صفة عسكرية ، وتزايدت المكوس ، أو الضرائب غير المشروعة ، وحصل التلاعب بالعملة كوسيلة للتوفير ، ووصل النظام الصيرفي أوجه في التطور ، وظهرت طبقة رأسمالية هامة ، ونشأت حركة منظمة بين الطبقة العاملة (١) .

رابعًا الحالة الثقافية :

إن أهم ما يميز الجانب الحضاري في العصر العباسى ، باعتباره أطول العصور الإسلامية هو : الحالة الثقافية ، فنشأت المدارس وأهمها :

١- المدرسة النظامية .

٢- مدرسة الإمام أبي حنيفة .

٣- مدرسة فخر الإسلام الشاشى بقراح ظفر .

٤- المدرسة التاجية .

٥- مدرسة تركان خاتون .

(١) راجع : مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٦٠ .
تاريخ العراق الاقتصادي د / عبد العزيز الدوري (ص: ٧) .
قضايا ومواقف من التاريخ العباسي د / هاشم عبد الراضي (ص : ٢٨٠ - ٢٩٠) .

ويعتبر العصر العباسي الأول من العصور الذهبية للنهضة الثقافية والحضارية، منذ بدأت الخلافة في عهد أبي جعفر المنصور ، الذي كان محبًا للعلوم ، فقد قرّب هذا الخليفة الطبيب النسطورى جورجيس بن بختيشوع ، واستخدمه في بلاطه ، وكان لهذا الطبيب فضل ملحوظ في إنعاش الحركة العلمية وخصوصًا أنه كان من أساطين الطب .

كما أولى هارون الرشيد حركة الترجمة تشجيعًا ملحوظًا ، فولى يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني ترجمة الكتب الطبية القديمة ، وجعله أمينًا على الترجمة .

كما أثرى العصر العباسي بالمؤلفين الكبار ، والمؤلفات العلمية الثمينة القدر ، على جميع مستويات العلوم ،

ففي العلوم الشرعية :

برزت مؤلفات الإمام أبو حنيفة ، والإمام مالك ، والإمام الشافعي ، والإمام أحمد بن حنبل ، ومقاتل بن سليمان ، والقاضي عبد الجبار ، والخطيب البغدادي ، وابن خالويه ، وابن مجاهد التميمي .

وفي علوم اللغة العربية وآدابها :

برزت مؤلفات الخليل بن أحمد ، علي بن حمزة الكسائي ، الجاحظ ، التنوخي ، وأبو هلال العسكري ، والحريري ، وغيرهم.

وفي علم التاريخ :

برز مؤرخون منهم : خليفة بن خياط ، البلاذري ، ابن جرير الطبري ، وهلال الصابي .

وفي مجال العلوم الطبية :

ترجم عددٌ كبير من كتب الطب ، بيد أن العلماء لم يكتفوا بالمترجمات ، وصنفوا كتبًا جديدة أسكبوا فيها تجاربهم الشخصية ، ومن أبرز هؤلاء الأطباء :

أبو الحسن علي بن سهل الطبري الذي كان يعالج بالطب : المعتصم ، الواثق ، والمتوكل وتلميذه : أبوبكر محمد بن زكريا الرازي ، صاحب كتاب الحاوي في الطب ، والطب الملوكي ، والجدري والحصبة .

والشيخ الرئيس ابن سينا صاحب كتاب القانون .

كما برز في الصيدلة : أبو علي يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادى[1] ، ومن كتبه المنهاج .

تلك أبرز صور الحضارة التي أنتجها العصر العباسي .

---

(١) كان نصرانيًا فأسلم ، وله باع كبير في جدال النصارى .

مقارنة الأديان

إن البحث في مقارنة الأديان وتاريخها والجدل الديني ، يشكل ميدانًا أصيلاً من ميادين الفكر الإسلامي ، وإن أصوله منبسقة من الكتاب والسنة ، فيحكي لنا القرآن الكريم عن معتقدات الأمم قبل الإسلام ويرويها لنا بدقة ، حتى لأننا نتصورها أمام أعيننا ، وكثير ما يقارن ربنا تبارك وتعالى في القرآن بين معتقد ومعتقد ، ودين وآخر ، كذلك يصور لنا القرآن الكريم ، كثيرًا من المواقف الجدلية ، بل ويحض عليها يقول ربنا تبارك وتعالى : (وجادلهم بالتي هي أحسن) ، (ولا تجادلو أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) بل ويؤكد الله عز وجل على أن الجدل صفة إنسانية وطبيعة بشرية دائرة مع الانسان مدار حياته فيقول جل شأنه ، (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) .

ولما كانت أصول العلم قُرآنية ونبوية ، هبّ العلماء لدراسة الأديان ، فقاموا بالتاريخ لها ووصفها وسرد عقائدها ، كما فعل ذلك البيروني ، والشهر ستاني وابن حزم وغيرهم .

وقاموا بمناقشة عقائدها ومقارنتها بالدين الحق ، وتبين كذب من افتروا بوضع هذه العقائد ، وبيان عوارها كالجاحظ والغزالي ، القرطبي ، القرافي وأبو عبيدة الخزرجي ، وابن تيمية وغيرهم .

وهنا لقى هذا الميدان عناية كبيرة من فرسان الإسلام ، فدراسات هؤلاء العلماء أسهمت في بلورة العلم وتأسيس منهاجه ، وابراز نتائجه المكونة .

غير أن هناك جهدًا غير قليل ، عظيم الفائدة في هذا الدرس ، وهو جهد العلماء المهتدين إلى الإسلام ، الذين أبرزوا ماهية دينهم أكثر من غيرهم لأنهم نشأوا في بيئة ذلك المعتقد ، ومارسوا طقوسه ، وأقاموا شعائره ، فهم خبراء به أكثر من غيرهم ، وحينما يكتب هؤلاء في هذا الميدان تحسب أقوالهم، وتوضع الأصول التى

يستمد منها على أساس التأصيل والاستشهاد لا الاستئناس فحسب .

ولقد برع هؤلاء أيما براعة في الحديث عن أديانهم أو أديان غيرهم ، لأنهم كانوا ينقلون عن النصوص الأصلية للديانة بلغاتها ، سواء كانت سريانية أو عبرانية أو يونانية ، مما أعطى لتأصيليهم مصداقية كبيرة ، إلى جانب حسن العرض والتقسيم، والمنطقية البارزة في الحديث ، والخطاب الهادئ الخالي من الانفعالات العارضة التي من عملها تضييع الفِكَر الرئيسة .

وكان من أبرز هؤلاء الأعلام :

× علي بن ربن الطبري ، صاحب كتاب : الرد على النصارى .

×الحسن بن أيوب ، صاحب الرسالة التي يشرح فيها سبب إسلامه ، وهى أنموذج رائع في مجادلة النصارى ، ودحض عقائدهم .

×أبو علي يحيى بن عيسى بن جزلة ، صاحب كتاب : الرد على النصارى ، الرسالة المشهورة في جدل إيليا مطران نصيبين .

×السموأل بن يحيى المغربي ، صاحب كتاب : إفحام اليهود .

× نصر بن يحيى المتطبب ، صاحب كتاب : النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية .

× عبد الحق الإسلامي ، اليهودي الفاسي صاحب : الحسام المحدود في الرد على اليهود .

×عبدالله الترجمان ، الذى كان قسيسًا كاثوليكيًا معروفًا في الأندلس ، صاحب

كتاب : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب .

×سعيد بن الحسن الإسكندراني ، كان نصرانيًا فأسلم ، صاحب كتاب : مسالك النظر في نبوة سيد البشر .

× زيادة النصب راسي ، كان نصرانيًا فأسلم ، وكتب كتابه : البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح [١] .

وامتد الزمان وطال ، حتى أتى العصر الحديث ، وأغفل المسلمون هذا الميدان تمامًا ، مع الحد الذي استمد الغرب فيه كل ماكتب في هذا الميدان، وهضموه وتمثلوه، ووضع له المناهج وخصصوا له الأقسام بالدرس والتمحيص ، وأصبح العلم في كامل نضوجه لديهم ، أما نحن فمازلنا ننادي بعناية المختصين به ، حتى لا يندثر كما اندثر علم آداب البحث والمناظرة والجدل [٢] .

(١) وهذا الكتاب قيد التحقيق من قبلنا ، وقد شرفت على الانتهاء من تحقيقه ، على نسختين خطيتين ، ويتميز هذا الكتاب ، بمنهجيته الرائعة ، وحسن التقسيم ، وبراعة الاستدلال ، حتى أنه يخاطب كافة العقول ، فيستطيع هضمه العامي فضلاً عن المتخصص .

(٢) قمت بعمل حصر واسع وشامل لكافة المخطوطات التي كُتبت في هذا المجال ، وهي محل دراسة مستقبلية ، إن أمدنا الله بالعمر وحالفنا التوفيق والهداية .

الكتاب والقيمة العلمية

هذا الكتاب (الرد على النصارى) لعلي بن ربن الطبري يعد أثرًا بالغ الأهمية فى حقل الدرس المقارن للأديان ، إذ إن صاحبه من أكابر علماء النصرانية ، فقد ظل معتنقًا لها طيلة سبعين عامًا من حياته ، وإلى جانب علمه اللاهوتي الدينى،كان عالماً بالطب ومن أساطينه العظام، وكان خبيراً بالسياسة ومعرفة الشعوب.

وقد كان هذا الكتاب أصلاً وعماداً لمعظم المهتدين إلى الإسلام [1]، في كتاباتهم في هذا الحقل الديني، وإن تصفحاً بسيطا لهذه الكتابات ليدرك منه ذلك، فلو راجعنا مثلاً رسالة الحسن بن أيوب التي بعث بها لأخيه علي يشرح له فيها سبب إسلامه نجد الأتي :

١ - مقدمة الرسالة هي هي مقدمة كتاب ابن ربن بعينها وعليهازيادات طفيفة،حتي الآيات القرآنية المستشهد بها، والفقرات الأنجيلية هي هي براويتها.

٢ - معالجته للقضايا العقدية لدي النصاري، وبيان عوارها،ونقضها واثبات وهائها،كانت الطريقة التي اعتمد عليها الحسن بن أيوب مماثلة لطريقة علي بن ربن،فعندما يتحدث مثلاً عن دلائل بطلان شريعة الأيمان عند النصاري يذكر أربعة أوجه يستدل بها علي صحة الشريعة من نقضها ألا وهي:

أ-النداء المسموع من السماء

ب-البشارة التي أدّاها جبريل عليه السلام

ج- قوله في يحي بن زكريا

د-قول المسيح في نفسه

---

(١) أيضاً اعتمد كثير من العلماء المسلمين فى كتاباتهم في الرد على النصارى ومناقشة عقائدهم على هذا الكتاب أمثال القاضى عبد الجبار ، وابن تيميه وابن القيم، وسنفرد - إن شاء الله - هذه المسألة ببحث خاص عند إخراجنا للكتاب عن (جهود الطبرى وآثاره في مقارنة الأديان).

وهذه الأوجه هي بعينها ما ذكره ابن ربن الطبري في هذاالمقام، ونتاج القول في ذلك:

إن رسالة الحسن بن أيوب تكاد تكون مماثلة لكتاب ابن ربن من مبدأها الي منتهاها،مع بعض التغييرات البسيطة،عدا حديث الحسن في مسألة الأقانيم.

أيضا عند مراجعة كتاب: (النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية) لنصر بن يحي المتطيب، نجد تشابها في العرض للقضايا، ومعالجتها وتحليلهاومناقشتها،وتقاربا في الألفاظ بين ما ورد في كتابه هذا وبين ما ورد في كتاب علي بن ربن، حتي أن نصر بن يحي لخص فقرات كاملة من كتاب علي بن ربن إلى جانب الاقتباسات، حتي أن الروايات الأنجيلية التي أوردها ابن ربن من الكتب الإنجيلية هى بعينها التى أوردها ابن يحيى، مما يجعل التأثير والتأثر أمراً ثابتاً لا محيد عنه.

وممايكسب هذا الكتاب قيمة وأهمية، معالجته لقضايا على قدر كبير من الأهمية في الديانة النصرانية- في وقت مبكر في العصر الإسلامي- مثل:

×طبيعة المسيح بين اللاهوتية والناسوتيه، وما يتعلق بذلك من الأبوة ، والبنوة ، والحلول، والاتحاد.

×أوجه التناقض والكبائر والاختلاف والتكاذب الموجودة في الإنجيل وبيان وهائها، واضطراب سندها.

×مذاهب النصاري، واعتقادتهم في المسيح.

×معجزات المسيح،واتخاذها وسيلة لتأليه المسيح.

× شريعة الإيمان(الأمانة).

أيضا: ممايدل علي أهمية هذا السفر وقيمته العلمية، استدلال صاحبه بالنصوص الإنجيلية الأصلية المنقولة عن النسخ السريانية والعبرانية واليونانية، والتي فُقد أغلبها، مما يكسب هذا الكتاب وثائقية علمية.

يقول ابن ربن:

(وقد دعتني الغاية بهذا الأمر الي أن تقصيت الإنجيل، وجميع كتبه، وكتب يونس، وغيره تقصيا، وقلبت جميع ذلك قلبا..).

ولقد بحثت فيما استشهد به علي بن ربن من الفقرات الإنجيلية فوجدتها لا تخلو عن نوعين:

أ- نوع عثرت عليه في الأناجيل الأربعة يتفق معها في اللفظ وبعضها يختلف كثيرا في اللفظ ولكنه يؤدي نفس المعني الموجود.

ب- ونوع لم أعثر عليه في الأناجيل الموجودة. ولعل مرد ذلك اعتماد المؤلف علي الترجمات القديمة التي لم تصل إلينا، واذا وضعنا في اعتبارنا أن اختلاف النسخ المترجمة حاليًا يوجد فيه مثل هذا ، كان ذلك مسوغًا لعدم وجود أمثال هذه الفقرات الإنجيلية.

إلي جانب ذلك كله أن الكتاب كان معدودًا ضمن مفقودات التراث العربي مما يجعل الظفر به غنيمة تستحق العناية والدراسة.

توثيق نسبة الكتاب للمؤلف

أحجمت المصادر التي ترجمت لعلي بن ربن الطبري عن ذكر أي كتاب يتعلق با لعلوم الدينية، وأولت بالعناية في ترجمته الكتب الطبية، باعتباره من أساطين الطب، فلم تذكر كتاب (الدين والدولة) في إثبات نبوة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم،علي الرغم من اعتماد الكثيرين عليه أمثال القاضي عبد الجبار الهمذاني، فقد أفاد منه إفادة كبيرة في كتابه (المغني) وخاصة في الجزء الخامس منه، وفي كتابه (تثبيت دلائل النبوة)، كما استفاد منه -أيضًا - نصر بن يحيى فقد لخص منه فصلاً كاملاً في النصيحة الإيمانية، هو فصل البشارات، فضلاً عن الاقتباسات الأخرى.

أيضاً لم تذكر المصادر كتاب (الرد علي النصاري) وأحجمت عن ذلك، الأمر الذي جعلني قمت بدراسة واسعة ولدت لدي القناعة بأن الكتاب الذي بأيدينا هو من تأليف علي بن سهل بن ربن الطبري وليس من تأليف غيره، وأن اسمه(الرد علي النصاري) وسبب هذه القناعة هو القرائن التي يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ - إشارة علي بن ربن إلى كتابه هذا ضمن حديثه في الدين والدولة، فقال(وقد بينت ذلك-يقصد تناقض النصاري- في الجزء الذي يتلو هذا الجزء، وشرحت فيه ما يُلْزِم أصناف النصاري كلهم، واحتججت عليهم بمائة وثلاثين حجة من كتب الأنبياء، سوى الحجج البرهانية، والأمثال المضروبة، والمقاييس ، وتوخيت بذلك تبصيرهم رشدهم، وتأدية ما أوجب الله على بعض الخلق لبعضهم من المحبة والشفقة..)[١]

---

(١) راجع : (ص : ١١) من مخطوطة الدين والدولة ونظرًا لأن كتاب الدين والدولة لم توثق نسبته لعلي بن ربن الطبري في كتب التراجم ، وباعتباره هو الموثق لكتاب الرد على النصارى ، رأيت من الضروري أن ألحق في هذه النشرة صورة من إثبات نسبة الكتاب له - أي الدين والدولة - وهي صورة الصفحة الأولى من المخطوط ، وصورة أخرى وهي التي ذكر فيها الطبري اسم كتابه (الرد على النصارى) .

وبعد الاطلاع علي الكتاب وجدت فيه من الحجج ما ذكر ابن ربن، وكثير من الأمثال المضروبة لتوضيح الفكرة، واقناع الناسي بها وتبصيرهم.

ويقول في موضع آخر: (وفي كتابي الذي في الرد علي أصناف النصاري).

وهنا يتأكد من كلام ابن ربن نفسه صحة نسبة الكتاب إليه.

٢ - اقتباس فقرات منه، والاعتماد عليه في دراسة القضايا التي تخص النصاري، وذلك من علماء كثيرين ،علي رأسهم:

الحسن بن ايوب، ونصربن يحيي، والقاضي عبد الجبار الهمذاني

٣ - وأخيرا: ذكره في كتب التراجم الحديثة باسمه أمثال، تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان في الجزء الثاني (ص:٦٨١ ، ٦٨٢)حيث ذكر أن ابن ربن له كتاب الرد علي النصاري وهو مخطوط في مكتبة شهيد با شا علي برقم١٦٢٨.

وقد اعتمدت علي هذه النسخة الفريدة، التي يبلغ عدد أوراقها خمس وأربعين ورقة، وعدد سطور صفحتها ثلاثة عشر سطراً، ومتوسط عدد كلمات الصفحة إحدي عشرة كلمة، وتجدر الإشارة إلى أن هذه النسخة ناقصة من آخرها.

منهج المؤلف

قدم المؤلف لمصنفه هذا بمقدمة، أوضح فيها سبب تأليف الكتاب، وأشار إلي أن ذلك يرجع لأسباب منها:

١- التبرؤ من دين النصاري.

٢- النصيحة والدعوة إلى الدين الحق .

٣- عدم مظنة السوء فيه ، وحتى لا يقول قائل من النصارى أنه أسلم كي يبيع دنيا بدين.

٤- القرب إلى الله عز وجل .

وجعل من كتابه هذا دعوة إلى الهداية ، ومن اهتدى فليثبت على الحق : لأن ما عليه النصارى باطل من جميع الأوجه ، وهنا عرض في كتابه لموضوعات شتى هي في مجملها :

١- طبيعة المسيح بين الاهوت والناسوت .

٢- أوجه التناقض والفساد في الإنجيل .

٣- مذاهب النصارى .

٤- شريعة الإيمان .

٥- معجزات المسيح والأنبياء .

وفي تفصيلها :

×التغير والثبات في حق الإله .

× الشريعة هل هي حق أم باطل ؟!

×هل المسيح هو الله ؟!

× زمان المسيح ومكانه .

× المسيح ومدى علمه وقدرته .

×وجوه معرفة الله (اثنا عشر وجهًا لايعرف الله إلا بها) .

×عقيدة اليعقوبية .

×عقيدة النسطورية .

×فقدان المسيح للشرائط الإلهية.

×الرد على اليعقوبية.

الرد على النسطورية .

×قلب النصارى للحقائق .

×شريعة الإيمان .

×أنواع الفساد والبطلان في شريعتهم .

× دلائل صحة الشريعة ونقضها .

× ألوهية المسيح بين الحقيقة والافتراء .

× معجزات السيد المسيح .

×معجزات موسى عليه السلام.

×معجزات بعض الأنبياء .

كان هذا سرداً مجملاً وتفصيلياً لأهم القضايا التي عولجت في هذا السفر العظيم.

منهجي في تحقيق هذا الكتاب

١ - لقد قمت بعملية بحث واسعة عن نسخ هذا الكتاب ، فلم يُيسر الله لي سوى العثور على هذه النسخة ، فقمت بقراءتها ، ومقارنتها بما اقتبس منها على قدر ما أتاحت لي النصوص ذلك .

٢ - قمت بنسخ الكتاب كاملاً ، بشكل دقيق ، ثم قمت بإعادة النسخ مرة أخرى أقابله وأصنع فقاره ، حتى يستقيم النص .

٣ - صنعت بعض العناوين الرئيسة والفروع في الكتاب ، حسبما يقتضيه السياق، ووضعتها بين معقوفتين .

٤ - عزوت الآيات القرآنية ، فذكرت اسم السورة ورقم الآية .

٥ - عزوت الفقرات الإنجيلية المستمدة من كتابي العهد القديم والجديد .

٦ - شرحت بعض الكلمات الغامضة ، حتى يسهل على القارئ معرفة ما يدور عليه الكلام .

٧ - وضحت كثيرًا من المصطلحات الخاصة بالنصارى ، وعلقت على القضايا الهامة التي تستحق الوقوف إزاءها .

٨ - كتبت مقدمة شاملة ، عن الكتاب ، والمؤلف ، والموضوع الذي عُني به ، فإن كان من صواب فمن الله وما كان من تقصير فمني ، وأسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتي ، وأن يُصحح به نيتي .

(مقدمة المؤلف)

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله

قال الفقير إلى الله الراجي عفوه ومغفرته علي بن ربن المهتدي :

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على أنبيائه أجمعين ، وآلهم الطيبين الطاهرين، وذريتهم تترا إلى يوم الدين، وهو حسبي يوم الدين .

أما بعد :

فإن من شأن كل ذي دين أن يُفضّل دينه بحُبّ دينًا [1] غيره ، ولا سبيل إلى معرفة الأفضل من الأرذل إلا باختيار ، ولا يكون الاختبار إلاّ بالعقل[2] ، ولولا العقل لما عُرف أن لنا صانعًا ، وأنه إلهٌ واحد فرد صمد قديم أزلي [3] ، وأنه غلوب وهوبٌ ، ومن لم يستعمل العقل جهل ومن جهل فقد ضل ، ومن ضل فقد كفر .

---

(١) كذا بالأصل ، والصواب (دينٍ) .

(٢) العقل هو :

ما أفاد العلم بموجباته ، وقيل بل هو قوة التمييز بين الحق والباطل ، وقيل هو العلم بخفيات الأمور التي لا يتوصل إليها إلا بالاستدلال والنظر .

راجع أعلام النبوة للماوردي ص ٢٧ ط دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٨٧ م ، مائية العقل للمحاسبي ط دار الفكر بيروت سنة ١٣٩٨ هـ .

(٣) أزلي :

الأزلي هو ما لا يكون مسبوقًا بالعدم ، واعلم أن الموجود أقسام ثلاثة لا رابع لها ، فإنه إما أزلي وأبدي ، وهو الله سبحانه وتعالى ، أو لا أزلي ولا أبدي ، وهو الدنيا ، أو أبدي غير أزلي وهو الآخرة ، وعكسه محال ، فإن ما يثبت قدمه امتنع عدمه .

وقيل الأزلي : الذي لم يكن ليس لا علة له في الوجود ... التعريفات للجرجاني ص ٢٧ .

سبب تأليف الكتاب

ولقد دعاني القديم من ذلك إلى أن ألفت كتابي هذا للتنصل [1] من دين النصرانية والإعذار والنصيحة للنصارى كافة ، ولئلا يقول قائل منهم أو من غيرهم ، إني إنما تركت دين النصرانية الذي كنت عليه من أول عمري إلى أن بلغت من العمر سبعون[2] سنة ، ورغبت في دين الإسلام الحنيفي كي أبيع دُنيا بدين، أو سرورًا بغُرُورٍ ، بل ما توجهت فيما ألفت من كتابي هذا إلاّ القُربى إلى الله عز وجل والإعذار والإنذار إلى كافة النصارى ، ورجوت أن يكون ذلك على طريق النصيحة لهم ، وإن كنت لا أشك أنهم يردون وجوههم عنه وآذانهم . وينقلبون ولا يقلبون ، وأفوز بأجر الناصح المأجور ويبوء من تأبى وذمّني ، بإثم المغتاب الموزور ، وما ذلك بمانع أهل الشفقة والمحبة من تأدية الحق ، وإبداء العذر ، وإن الرجل ربما دعته الشفقة والرأفة على ولده أن يَسْقِه الأدوية المُرّة الكريهة المنتنة ، بل ربما اعتراه في جسده داءٌ ، فقطع عضوًا من أعضائه مخافة أن يسري الداء في جسده كله فيهلكه، وما أيسر هلاك البدن ، وهو الغم العاجل ،وأما هلاك النفس فهو خسران الأجل .

---

(١) التنصل :

هو التبرؤ والتخلص من الشيء ، يقال تنصل من الذنب أي تبرأ وتخلص منه ، وليس هناك ذنب أفظع من الشرك بالله .

(٢) كذا بالأصل والصواب : سبعين .

كما قال المسيح [1] - عليه السلام- لتلامذته: (لاتخافوا قلة الأبدان ، بل قلة الأنفس المكذبة المضلة) وليس قصدي فيما أتيت به وأثبته في كتابي هذا ردًّا على المسيح عليه السلام ، ولا على أهل حقه ، بل على من خالف المسيح والأناجيل ، وحرّف الكلمات من صنوف النصارى .

× دعوة للهدايه والثبات :

ولم يتصفح كتابي هذا مسلم إلا ازداد سرورًا بالإسلام ، ولن يقرأه نصراني إلا وقع بين أمرين عظيمين ، إما مفارقة دينه ومعاتبة سره ، وإما الاعتياب على ما هو عليه والشك فيه ماتبقى من عمره ، لما يتضح عنده من حجة العقل ، وصحة النقل إن شاء الله تعالى .

---

(١) المسيح :
تطلق كلمة المسيح في أصل التسمية على الصديق أو المبارك وأطلقت الكلمة وشاعت على المسيح ابن مريم - عليه السلام- وقد اختلف الجميع في سبب تسمية عيسى ابن مريم بهذا الاسم ، سواء على المستوي الاصطلاحي أو المستوى الديني ، وخلاصة الأمر في هذا الخلاف أن سيدنا عيسى ابن مريم لقب بهذا اللقب إما لصدقه ، أو لأنه كان سائحًا في الأرض ،
أو لأنه كان يمسح المريض فيبرأ بإذن الله . أو لأن زكريا مسحه بزيت البركة .
وقد أطلق اليهود هذه اللفظة على (كورش الوثني) الذي خلصهم من الأسر البابلي ، كما يطلقونها على النبي المنتظر عندهم . ومن الثابت عقائديًا أن مسيحهم المنتظر الذي يأتيهم وينضمون إليه هو المسيح الدجال ، الذي سيقتله عيسى ابن مريم في آخر الزمان ، وتطلق لفظة المسيح على سيدنا عيسى ابن مريم ، الذي عُرف في الدين الإسلامي بأنه : آخر ، أنبياء بني إسرائيل وليس بينه وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي آخر ، وهو من آل عمران . ومن نسل داود ، ولذلك اضطهده اليهود ، وآذوه ، وحاولوا قتله ، دعا الإسرائيليين إلى دين سيدنا موسى ، وبشر برسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم من بعده.
لمزيد من التفصيل راجع :
تفسير الرازي ٨ / ٥٤ .
تفسير الألوسي ٣ / ١٦١ .
القاموس القويم لألفاظ القرآن الكريم - إبراهيم عبد الفتاح - ط مجمع البحوث ٢ / ٢٧٠ .
قاموس الكتاب المقدس ص ٨٦٠ .
لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف ٦ / ٤١٩٦ .
النصرانية بين الحقيقة والتحريف د / عادل درويش ط دار العلم .

× محتوى الكتاب :

وأنا ذاكرٌ أولاً دين الإسلام ، ثم أسأل النصارى عن سبع مسائل ، سميتها المسكتات العواذل ، لأنها تسكت المسئول المنصف وتبكته ، ولأن النصارى إن وافقوني عليها خرجوا من دينهم الذي يدينون به ، وإن خالفوني خالفوا التوراة والإنجيل .

ثم أُتبِعُ هذه المسائل مسائل أُخر تقوية للسبع الأُوَل ، وأذكر بعد ذلك سبعة أوجه من التناقض[1] والكبائر التي في الإنجيل وجدتها في شريعة إيمانهم ، ثم أذكر أصناف النصارى ، وما يلزم كل صنف من الحُجّة في مذهبه .

وأشرح ما معنى الأبوة ، والبنوة ، والحلول ، بوجوه من البراهين لا مخرج لهم منها ولا محيد عنها ، وأفسر بعون الله تعالى الكلمات التي تأولوها ، بخلاف معانيها ، وأذكر التحريف والفساد الموجود فيه ، فإذا ثبت جميع ما احتجوا به ، من كتبهم بالسريانية بعينها ، لئلا يشعر شاعرٌ أو يحتج معاند إن شاء الله تعالى .

(١) التناقض :
التناقض من النقض ، وهو ضد الإبرام ، وهو انتشار العقد من البناء ، والمناقضة في الكلام : التخالف إما بالنفي أو الإثبات . وعُرف في المصطلح المنطقي بأنه :
اختلاف القضيتين بالإيجاب والسلب ، بحيث يقتضي لذاته أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة ، ولا في المخصوصتين إلا عند اتحاد الموضوع .
والكلام المتناقض : هو الذي يكون بعضه مقتضيًا إبطال بعض . المعجم الفلسفي .

الفصل الأول

في السبع المسكتات

والإسلام هو :الإيمان بالله الحي الذي لايموت ، الواحد الفرد الملك القدوس الجواد العدل ، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، وإله موسى وعيسى وسائر النبيين وإله الخلق أجمعين .

الذي لا ابتداء له ولا انتهاء ، ولا أنداد ولا أولاد ، ولا أجداد ولا أتراب ولا أسباب وأنه خالق الأشياء كلها ، لا من شيءٍ ، ولاعلى حدٍ ، ولامثال، بل كيف شاء ، وبأن قال لها : كوني فكانت على قدر واحد ، وهو القدير الرؤوف الوهوب الذي لا يظلم مثقال ذرةٍ ، ولا يشبهه شيءُ في الأرض ولا في السماء ،وهو الغالب الذي لا يُغلب ، والجواد الذي لا يبخل ، والعالم الذي لا يجهل، لايفوته ظلم ظالم ، ولا يخفى عليه خافية .

يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ هُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ وكل له قانتون ، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم نبيه ورسوله ، وكذلك موسى وعيسى- صلوات الله عليهم أجمعين – وسائر الأنبياء (لا نفرق بين أحد من رسله) (البقرة :٢٨٥) (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) (الحج :٧) ، (ن الأبرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) (الانفطار ١٣ ،١٤) ، هذه شريعة أهل الأسلام ودينهم.

المسائل المسكتات

المسألة الأولى من المسكتات

وأول المسائل المسكتات أنا نسأل النصارى عن هذا التوحيد [1] الذي شرحته والإيمان الذي وصفته ، هل هو حقٌ أم باطل ؟!

فإن قالوا : حقٌ ، فالذي هم عليه باطلٌ ، لانهم يؤمنون بثلاثة آلهة ، بل بأربعة وهم الآب ، الابن ، الروح القدس ، وإنسان أزلي ، وهو يسوع المسيح ، وحقيقة ذلك في شريعة إيمانهم التي أنا مفضح لها ومبديٌ سرها.

وانها تنطق بأن يسوع المسيح مخلوق وليس بخالق كما تقولون ، فإن قالوا إنّ ما شرحت في التوحيد باطلاً ، كفروا بما جاء به موسى وعيسى وسائر الأنبياء - عليهم السلام - وكلهم موُحدٌ مخلصٌ .

قال تعالى لموسى - عليه السلام - في التوراة- وكل النصارى يشهدون بها -: (إنني أنا الله (اهيا شرا اهيا) إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب، هذا اسمي إلى الأبد ، وهذا ذكرى إلى دهر الداهرين) [2] .

---

(١) التوحيد :
إن الدعوات الإلهية جميعًا ، جاءت لتبليغ دين الله تعالى بكماله وتمامه ، ليعيش الناس به عبيدًا مخلصين لرب العالمين .
وأساس العقيدة الدينية هو توحيد الله عز وجل ، ويتضح من تتبع دعوات الرسل أن التوحيد أنواع ثلاثة متمايزة يجب الإيمان بها ، لتنتج إيمانًا صادقًا كاملاً وهي :
١- توحيد الأسماء والصفات : لله الأسماء الحسنى ، وصفاته العُلى ، وهو سبحانه في أسمائه وصفاته واحد لا شريك له . ودلالة الأسماء والصفات على ذات الله تعالى دلالة خاصة تليق بذاته سبحانه وتعالى .
٢- توحيد الربوبية : ومعناه أن الرب الموجد والفاعل لكل ما في الوجود ، والخالق هو الله ، موجود بلا شريك أو معين ، اختص بالربوبية دون سواه فوجب توحيده به ، وتوحيد الربوبية من المسلمات العقلية التي آمن بها البشر دائمًا (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) (الزخرف : ٨٧) .
٣- توحيد الألوهية : هو الثمرة المباشرة للنوعين السابقين . لمزيد من التفاصيل : راجع كتب التوحيد والعقيدة ، ففيها بسط واف لمسألة التوحيد .
(٢) خروج : ٣ / ١٦ .

وقال في السفر الثاني : (أنا الرب إلهك ، فلا تعبد إلهًا غيري ، ولاتسجد له ولا تشبّه بي شيئًا مما في السماء ، ولا مما في الأرض ، ولا مما تحت الماء) [1] . وقد كان يسوع المسيح - صلوات الله عليه - في الأرض، فمن قال إنه الله ، فقد عصى الله .

وقال لموسى عليه السلام - في تسبيح له : (أنا الله عز وجل ، واعلموا أني أنا وحدي ، وأني أنا أميت وأحي ، وأنا أُسقم وأنا أشفي ، ولا ينجو مني ناجٍ).

وافتتح (متّى) الإنجيل الأول فقال : (كتاب مولد يسوع المسيح بن إبراهيم) [2] ، وهذا إقرارٌ ، بأن الله قديم لا يتولد ، فإن المتولد مُحدث، وليس الله مُحدثًا ، بل هو محدث كل حادث [3]

وقال (متّى) - تلميذ المسيح في الفصل الرابع من أنجيله - (إن رجلاً قال للمسيح : أيها الحَبْر ، فقال المسيح مجيبًا له : لَمِ سميتني حبرًا ؟! ليس الحبُر إلاّ الله وحده) [4] .

وقال(يوحنا) - في الفصل السادس عشر من إنجيله -:(إن المسيح رفع بصره إلى السماء وتضرع إلى الله ، وقال : إن الحياة الدائمة يجب للناس أن يعلموا أنك

(١) خروج : ٢٠ / ٢ - ٥ .

(٢) متى : ١/١ .

(٣) القديم والمحدث :

القديم هو المتقدم في الوجود على غيره . وقد أطلقت هذه اللفظة على الذات الإلهية باعتبار أن الله عز وجل هو المتقدم في الوجود ، الأول الذي لا آخر له . ولم ترد هذه اللفظة في الكتاب والسنة . وقد تسببت في خلافات كثيرة عند أهل الكلام . وعجت المؤلفات التي تتحدث عن قدم وحدوث العالم ، بالخلافيات التي لا تنفع في شيء ، لأن الاعتقاد في وجود الله أيسر من ذلك . وإذا أردت أن تتأكد من ذلك فافعل كما قال الغزالي- رحمه الله- في قواعد العقائد .

ويقول الباقلاني في تمهيد الأوائل ص ٣٧ :

الموجودات كلها على ضربين : قديم لم يزل ، ومحدث لوجوده أول .

(٤) لم أجده في إنجيل متى .

أنت الله الواحد الحق ، وأنك أنت أرسلت يسوع المسيح)[1] فهذا هو التوحيد المحض المُصرح والاعتراف بأنه مبعوثٌ ، وهذا إيمان المسيح وجميع الأنبياء - عليهم السلام .

اغترارًا شديدًا وجرأة على الله المجيد ، فإن قال قائل منهم : إن المسيح وإن كان وَحّدَ واعترف أنه مبعوث كما في الإنجيل ، فقد اعترف في غير موضع أنه الأزلي الخالق ؛ فقد شنع على المسيح أقبح التشنيع ، ونسبه إلى التناقض ، باعترافه مره بأن الله واحد وأنه مبعوث ، وادعاؤه بعد ذلك أنه خالق أزلي ، والمسيح بريء من ذلك ، وممن نسبه إلى ما لا يليق بالعقل ؛ لأن الإنجيل نطق أنه قال:(لم أجئ أعمل لمشيئتي بل لمشيئة من أرسلني)[2] .

وقال (متى) - تلميذ المسيح في إنجيله - :(إن الشيطان دعا المسيح أن يسجد له وأرواه ممالك الدنيا وزبرجدها وزخرفها ، ثم قال : اسجد لي لأجعل هذا كله لك، فقال المسيح - عليه السلام - : إنه مكتوب ألا تعبد إلاّ الرب إلهك ولا تسجد لشيء سواه)[3] .

(١) يوحنا ١٧ / ١ - ٥ .
(٢) يوحنا ٦ / ٣٨ .
(٣) متى ٤ / ٨ - ١١ .

المسألة الثانية من المسكتات

أنا نسألهم عما وصف به المسيح نفسه ، هل يكون محقًا في بعض ومبطلاً في بعض؟! فإن قالوا: إنه محق في بعض ذلك ومبطلاً في بعض ، كفروا به ، وكذبوا بأخباره، وإن قالوا : إنه محق في جميع ذلك ، فقد أقرّوا بأنه مبعوث ، وأنه مربوب ، وأن الله واحدٌ فردٌ كما قدمت وبينت من قوله ، وهذا خلاف لما في شريعة إيمانهم ، التي تقول: إنه إله حق من إله حق.

فمن قال في المسيح بمثل ما قال في نفسه ، فهو المؤمن به ، ومن قال فيه بخلاف ما وصف به نفسه فهو المخلف المغرور ،لأن المسيح قال عن نفسه ، ما حكاه عنه يوحنا في آخر إنجيله : (ها أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم ، وإلهي وإلهكم) [1] .

وقال في الفصل الرابع من إنجيله عن المسيح قال لتلامذته (من قَبِلكم وآواكم ، فقد قَبِلني ، ومن قبلني ، فإنما تقبل من أرسلني ، ومن تقبل نبيًّا باسم نبي ، فإنما يفوز بأجر من قبل النبي) .

وقال يوحنا التلميذ في الفصل الخامس من إنجيله : (إنني لم أجئ أعمل لمشيئة نفسي ، بل لمشيئة من أرسلني ، ومشيئته أن لا أُضيّع مما وهبه لي) [2] .

فهذا الإقرار بأنه موهوب ، مبعوث ، وليس بجحود .

---

(١) يوحنا ٢٠ / ١٧ .
(٢) يوحنا ٦ / ٢٨ ، ٢٩ .

المسألة الثالثة من المسكتات

أنا نسألهم عن الأزلي الخالق ، هل يتغير عن حال قِدمه وجوهريته ، وتخاف عليه الأمراض ، والموت أم لا ؟!!

فإن قالوا : إنه يتغير أو يموت ، فقد مات إيمانهم ، وكأن قائل هذا القول كمن شبّهه الله تعالى في كتابه بالأنعام [(١)] ، وكمن شبّهه المسيح بالكلاب والخنازير ، وكمن شبّهه أشعياء النبى بالحُمر والبقر في قوله : (عَرَفَ الثور من اقتناه ، والحمار مربطً ربّه) [(٢)] ولم يعرف بنو إسرائيل قدر ذلك ، وإن قالوا :

إن الأزلي الخالق لا يتغير ولا يموت ، خالفوا شريعة إيمانهم ، ومن خالفها كان عندهم كافر بها ، فإنها تقول :

(إن يسوع المسيح خالق غير مخلوق ، وأنه إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه وانه قُتِل وصُلب وأولم) [(٣)] .

---

(١) وهنا يشير إلى قوله تعالى : (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) (الفرقان : ٤٤) .

(٢) أشعياء ١ /٣ .

(٣) الصلب :

الأصل في كلمة الصلب - كما جاء في قاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٥ - صلب الضحية وتعليقها على الصليب تنفيذًا لحكم الإعدام فيها ، وكانت هذه الطريقة معروفة لدى أمم كثيرة ، وإلى موت المسيح وحتى بعده كان الصلب مصدر ذل وعار ، لكن بعد ما صُلب عليه الإله المسيح أصبح مصدرًا للفخار والعزة .

ونحن ننزه سيدنا عيسى -عليه السلام- عن هذه الخرافات والأباطيل فهو القائل عن نفسه (وجعلني مباركًا أينما كنت) (مريم : ٣١) ، والإنسان المبارك الذي أتاه الله الحكمة والعلم والنبوة لا يليق به أن يصلب وتدق المسامير في جسده ويصفع على وجهه ، إن هذا الذي يروى في الأناجيل ويعتقده كثير من النصارى ، لا يرضاه ذو مسكة من عقل ، ومن هنا وجدنا بعض الطوائف تنكر حادثة الصلب والقتل ، بل إن الكتب المقدسة تنفي هذه الحادثة تمامًا ، وتروي نهاية حياة المسيح ، كما رواه القرآن الكريم .

لمزيد من التفصيل راجع :

إنجيل برنابا ٢١٥ ،٢١٦ .

الإسلام والنصرانية الحقة لأرنست ديونس .

صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء أحمد ديدات ص ١٧٢ .

الانتصارات الإسلامية ، نجم الدين الطوفي ص ١٠٣ .

الأجوبة الفاخرة ، القرافي ص ٥٣ .

فإلههم إذًا قد تغَيَّر ومات ، وأنا موضح فساد هذه الشريعة وتناقضها ، وأنها لا تثبت للحق بل تنتثر إنتثاراً ، وإذا صح فسادها فسد الأيمان ،

ومن أقام على إيمان فاسد قام على عرر عظيم .

المسألة الرابعة من المسائل المسكتات

أنا نسألهم عن هذه الشريعة [1] التي لا اختلاف بين جماهيرهم فيها ، ولا يتم لهم قربانٌ إلا بها ، هل هي حق من أولها إلي آخرها ؟ أو باطل كلها ؟ أو بعضها حق وبعضها باطل ؟ فإن قالوا : بعضها حق وبعضها باطل ، أبطلوا بعض الأيمان وكفروا به ، وفي بطلان بعضه فساد كله ، وإن قالوا : هي حقٌ من أولها إلي آخرها ، فانفتح، ونقول :

إنما نؤمن بالله الواحد الآب ، مالك كل شئ ، وصانع كل ما يُرى ، وما لا يرُى . فإن كان ذلك صحيح فالمسيح إذًا مخلوق مبعوث ، فإنه لا يخلو أن يكون من الأشياء التي ترى ، أو من الأشياء التي لا ترى ، فمن أيها كان ، فهو مخلوق والله خالقه ؛ لقول شريعة الأيمان : إن الله خالق من يُرى ومن لا يُرى وإن احتج محتجٌ، وقال: إن في آخر الشويقة بعينهاما يشهد لهم بأن المسيح هو أيضاً إله حق ،وأنه خالق كل شئ كان الجواب فيه ، وإن كان آخر شريعتهم موافقاً لأ ولها فالأمر كما قلناه .

وإن كان آخرها مخالفاً لأولها ؛ فالشريعة إذن فاسدة متناقضة ، وإذا فسدت الشريعة فسد الأيمان بها ، وضلّ المؤمنون بها ، ولا أعلم من (الفليان) والبهت شيئاً أشنع من أمة تقوم بين يدي إلهها فترفع أصواتها ؛ فتقول : نؤمن بأنك أنت الله

---

(١) الشريعة :
وتطلق على (أمانتهم) ، وتسمى أيضا : قانون الإيمان ، قانون الاعتقاد ، دستور الإيمان ، تسبيحة الإيمان .
وهذه الشريعة هي عبارة عن قرار رسمي أصدره الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا بعد اجتماعهم في مدينة نيقية سنة ٣٢٥ بتركيا ، وبهذه الشريعة تدين الكنائس ، وقد استمد الأساقفة فقرات هذا القانون من العهدين القديم والجديد على السواء .
لمزيد من التفاصيل ؛ راجع :
تاريخ الأقباط ١ / ١٤٣ ، قصة الحضارة ١١ / ٣٩٥ ، المجامع المسيحية ١٤٤ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ، الأجوبة الفاخرة للقرافي ، والبداية والنهاية لابن كثير ٢ / ١١١ ، تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار ٢ / ٩٤ ، الرد الجميل للأمام أبي حامد الغزالي .

الواحد وأنك خالق كل ما نرى وما لا نرى ، ثم يقولون : نعم يا رب ونؤمن بإله آخر ، هوخالق الأشياء كلها مثلك .

ولو خاطب رجلٌ بمثل هذا الخطاب سيداً أو سلطاناً لكان ذلك سخفاً منه ، واستخفافاً بقدرته ، فكيف بمن يخاطب بمثل هذا القول الخلّاق القديم ، تعالى الله عن مثل هذا القول .

المسألة الخامسة من المسائل المسكتات

أنا نسألهم عن المسيح هل هو الخالق الأزلى كما فى شريعة إيمانهم؟! هو إنسان مصطفى كما في شريعة إيماننا ، أو هو إله وإنسان كما قالت طوائف منهم ؟

فإن قالوا : هو إنسان مخلوق مبعوث وافقوا المسلمون [١] في شريعة إيمانهم، وإن قالوا بل هو إله خالق أزلى ، خالفوا الإ نجيلات ، وغيرها من الكتب وكفروا بها.

فقد قال متّى في الفصل الثامن في إنجيله يستشهد بنبؤة أشعاء : إن المسيح – عليه السلام – حين قال عن الله عز وجل (هذا عبدي الذي إصطفيته، وحبيبي الذي ارتاحت له نفسي ، ها أنا ذا واضع روحي عليه ، ويدعو الأمم إلى الحق [٢] .

وهذا تصريح ، وليس بمجمجة ، وأشعياء نبي ، وليس بمتهم ، والمحتج بنبوته هو الإنجيل ، فالعبد لا يكون إلهًا ، والإله لا يكون عبدًا كما وسمتموه فتدبروا ذلك أيها النصارى .

وقد قال مرقس التلميذ في أنجيله : إن المسيح قال وهو على الخشبة : (يا إلهي يا إلهي خذلتني) [٣] .

وذلك آخر كلام تكلم به في الدنيا ، وقال متى في الفصل العشرين من إنجيله: إن المسيح تناول خبزة فكسرها ، وناول الحوارين [٤] كسرة وقال هذا لحمي ، وناولهم كأسًا فيها مشروب ، وقال هذا دمي [٥] .

---

(١) كذا بالأصل . والصواب : المسلمين .
(٢) متى ١٢ / ١٨ .
(٣) مرقس ١٥ / ٢٥ .
(٤) كذا بالأصل ، والصواب : الحواريين .
(٥) متى ٢٦ / ٣٦ – ٢٨ ... ، ويسمى هذا بالقربان المقدس ، ويعد القربان المقدس واحدًا من أسرار الكنيسة السبعة ، وفيه يعتقد النصارى أنهم يأكلون جسد المسيح الأقدس ، ويشربون دمه الزكى تحت أعراض الخبز والخمر ...
لمزيد من التفاصيل راجع : حبيب جرجس في : أسرار الكنيسة السبعة ص ٦٢ ، وخلاصة الأصول الإيمانية ص ٢٨ ، الكنيسة أسرارها وطقوسها ، عادل درويش ، رسالة دكتوراة مخطوطة بكلية الدعوة الإسلامية .

ومن كان له لحم ودم ؛ فهو جسم ، وكل جسم له طول وعرض وعمق ، وما كان كذلك فهو مدروع متناه صائر إلى البلاء والفساد .

وقال لوقا في الفصل الثالث من إنجيله يصف المسيح عليه السلام إذ كان صبيًا فيقول :

(إن الصبي كان يتربا في قامته وحكمته وتزيد عند الله وعند الناس) [١].

وقال أيضًا في هذا الفصل : (إن الصبي كان يتربا ويقوى بروح القدس ويمتلئ حكمة وكانت نعمة الله ظاهرة عليه) [٢] ، ومحال أن نقول الأزلي الخالق أن له إلهًا ، فيقال فيه إنه كان صبيًّ ، إذ كانت نعمةُ إلهٍ أزلي آخر ظاهرة عليه .

وقال يوحنا في الفصل الخامس عشر من إنجيله : (إن المسيح قال لتلامذته : إن كلامي الذي سمعتموه هو كلام من أرسلني) [٣].

وقال في هذا الفصل : إن أبي أجل وأعظم مني [٤].

وقال يوحنا في إنجيله عن المسيح: (كما أمرني ربي فكذلك أفعل ، فقوموا نمض إلى فإني أنا الكَرْمُ الحق وأبي هو الفلاح) [٥].

وقال في الفصل الرابع عن المسيح (إنه قال: أسأل أبي أن يعطيكم فارقليط آخر النور المضيء الذي لا يزلُّ عن الطريق ، كيف يُقال له كذى يقول وهو يشهد عليّ وأنتم

---

(١) لوقا ٢ /٥٢ .
(٢) لوقا ٢ / ٤٠ .
(٣) يوحنا ١٤ / ١٠ .
(٤) يوحنا ١٤ / ٢٩ .
(٥) يوحنا ١٤ / ٣١ ، ١٥ / ١ .

تشهدون وأنا آتيكم بالأمثال ، وهو يأتيكم بالبيان) (١).

وقال لوقا في آخر إنجيله : (إن المسيح دخل على تلامذته بعد أن قام من بين الموتى وهم مجتمعون في غرفة ، قد أغلقوا بابها ، فارتابوا به ، وارتاعوا منه ، وظنوا أنه روح من الأرواح، قد ولج بابهم ، وعلم المسيح وَجَلهُم من ذلك ، فقال لهم حيّوني يا هؤلاء ، واعلموا أن الأرواح لا يكون لها لحمٌ وعظمٌ مثلما تجدون من اللحم والعظم) (٢).

وقد علمنا أن اللحم والعظم مصنوعًا ، وأن المسيح صانعهما ليس بجسم ، بل هو مُبْتَدِعُ الأجسام ، فمن قال : إن المسيح مربوبًا إلهاً ، كان صبيًّا يذهب طولاً وعرضًا، وان من كان كذلك فليس بأزلي خالق بل مخلوق ، فقد وافق المسيح وتلامذته ، ومن قال بخلاف ذلك ، فهو مخالف لهم أجمعين .

ونحن الموافقون لله وللمسيح ، وهم المخالفون لله ولمسيحه ، وقد يخرج عليهم من هذا القول كبيرة أخرى ، أزرى وأشنع من الأولى ، وهي أن المسيح إن كان أزلياً خالقاً كما في شريعة إيمانهم لزمهم أن يجعلوا بعض الرب خالقاً أزليًّا ، وبعضاً ميتاً مخلوقاً لأن المسيح مُقرٌّ بأنه لحم ودم ، فاللحم والدم إذاً خالقان أزليان ، وقد علمنا أنهما يتولدان على الأغذية والأشربة .

---

(١) راجع يوحنا ١٦ / ١٢ - ١٤ ... . الفارقليط : كلمة يونانية الأصل (Parakletos) أصبحت في الفرنسية (Paraclet) وهي ترمز إلى صفة المبشر به من بعد عيسى عليه السلام ، والذي يأتي بعده ، وقد ترجمت كلمة (بارقليط) إلى المعزى ، وأضيف إليها (المعزى روح القدس) ، (روح الحق) حتى تنصرف إلى روح القدس الذي نزل على التلاميذ فألهمهم حسبما يقولون ، ولا تنصرف إلى من بعده ، وهو : محمد صلى الله عليه وسلم ... لمزيد من التفاصيل راجع :
النصيحة الإيمانية لنصر بن يحيى ص ١٣٩ ، مُحمَّد في التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل ص ٧٤ ، كتابات د / موريس بوكاي ، عبدالله الترجمان في تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، الفصل لابن حزم ، هداية الحيارى لابن القيم ، إفحام اليهود للسموأل بن يحيى المغربي ، إظهار الحق لرحمت الله الهندي .
(٢) لوقا ٢٤ / ٣٦ - ٤٠ .

وتلك الأغذية والأشربة أجزاء من أجزاء الدنيا ، فخالق[1] الدنيا كلها جزء من أجزاء الدنيا ، وذلك الجزء بعينه هو خالق نفسه أيضاً ؛ لأنه جزء من الدنيا التي هو خالق كلها ، فهو أشنع ما يكون من البهتان ، وأبعد ما يكون من المعقول ، ومن قِبلِ ذلك ودان به ، جعل المخلوق خالقاً ، والخالق مخلوقاً - كما بيّنا آنفاً - وذلك أنهم صيَّروا اللحم والدم خالقاً أزليّاً والأزلي الخالق لحماً ودماً ، وبهذا تنطق شريعة إيمانهم ، قولها : (إن المسيح خالق غير مخلوق) .

ويلزمهم أشنع من هذه وذلك : إن كان بعض الدنيا هو خالق جميع الدنيا ، وبعض الشئ لا يكون موجوداً إلا بعد وجود كله ، وما ليس بموجود ولا بمعقول فهو لا شئ ، فخالق الدنيا عندهم معدوماً ، غير موجود ومجهول غير معقول ، وإن كان خالقها غير موجود ، وهي إذاً غير مخلوقة ، وأظن أصحاب هذه الشريعة قصدوا إلى هذا المعنى بعينه ، لا إلى غيره ، والمثل في ذلك : قول من قال : إن جزءًا من أجزاء الإنسان هو خالق الإنسان كله ، وقد علمنا أن ذلك اللحم لم يكن قبل الإنسان ، وما لم يكن قبل الإنسان فهو لا شيء ، فكأنه قال : إن خالق الإنسان لا شيء .

---

(١) الخالق :
هو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة ، وأصل الخلق : التقدير فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها ، وباعتبار الإيجاد على وفق تقدير خالق ... راجع شرح أسماء الله الحسنى في كتب السنة ، وابن ربن هنا يستخدم القياس المنطقي استخدامًا حسنًا في إبطال شريعة إيمانهم ، وبيان تناقضها وعدم معقوليتها .

المسألة السادسة من المسائل المسكتات

نسألهم عن المسيح : هل كان في بلد من البلدان ، وفي زمان من الأزمنة أم لا ؟! فإن قالوا: إنه لم يكن في بلدٍ ولا زمان فقد خالفوا الإنجيل [1] ؛ فإن (متّى) التلميذ يقول في أول إنجيله : (إن المسيح ولد في بيت لحم المنسوب إلى يهوذا ، وأنه في أيام هيرودس الملك) [2] .

ويقول لوقا في إنجيله : (إنه وجد في المعلف مقموطًا ، وقيل في أيام فيلاطوس الملك) [3] . ومن كان في زمان من الأزمنة ، وفي مكان من الأمكنة ، فالزمان أبدًا قبله ، والأمكنة كانت محيطة به ، وما كان كذلك فهو مخلوق ، ومتى ثبت أن المسيح مخلوق ، بطلت شريعة إيمانهم .

التي تقول : إنه إله حق من إله حق ، وأنه خالق كل شيء ؛ لأن الزمان شيءٌ من الأشياء المخلوقة ، والزمان قبل يسوع المسيح ، الذي خلق الأشياء كلها ، فكيف يجوز أن يكون الزمان قبل خالق الزمان ، والمكان محيط بمبتدع المكان ، وهذا من أشنع ما يكون من العايط والبهتان ، والمولود الذي ولد في زمانٍ ، وحصره مكان ، فهو إنسانٌ ابن إنسانٍ ، وعبدٌ ابن أمةٍ ، وفي هذا نقضُ الشريعة ، وإبطال الدين ، ووجوب فيما أخبر ، وقطعت حججهم [4] ومعاذيرهم فيما اختلفوا .

---

(١) الإنجيل :
الأصل في الإنجيل أنه الكتاب الذي أنزله ربنا تبارك وتعالى على عيسى ابن مريم - عليه السلام - مصدقًا لما بين يديه من التوراة . وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم اثنتي عشر مرة . لكنه بعدما رفع المسيح مكانًا عليًا ضاع الإنجيل الرباني المنزل على عيسى . وكتبت بعده أناجيل كثيرة تقرب من أربعة وعشرين ألفا . ثم أرادت الكنيسة في أواخر القرن الثاني الميلادي أن تحافظ على كلمة الرب . فاختارت أربعة أناجيل هي (إنجيل متى . ومرقس . ولوقا . ويوحنا) ويقول سوغارت القس : (إن النسخة الأصلية أو المخطوط الأول لكلمة الرب لا وجود لها)...
راجع الإسلام والأديان ص ١٨٧ . د / مصطفى حلمي . محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٤٨ . والمناظرة الحديثة بين ديدات وسوغارت ص ١٢١ ط مكتبة زهران بالأزهر .

(٢) متى ٢ /١ .

(٣) لوقا ٢ / ٧ .

(٤) الحُجَّةُ :
وأما الحُجَّةُ : أخذت في اللغة من المحجة : وهي الطريق الواضحة . فيقال إن كان العلم حجة صار محجة ، وقيل إنها من الغلبة . ويقال : لا جَّهُ فحجه أي : غلبه . والحجة : هي الدليل نفسه . إذا كان برهانا أو إقناعا أو شغبًا .... راجع الكافية في الجدل للجويني ص ٤٧ . وابن حزم في الأحكام ١ / ٤١ .

المسألة السابعة من المسائل المسكتات

أني وجدت يوحنا التلميذ يقول في الفصل الخامس من إنجيله : (كما كان الأب حياة من جوهره فكذلك أعطى الابن حياة في قوته) [١] .

وقال يوحنا التلميذ أيضًا في الفصل الخامس من إنجيله إن المسيح قال : (إني لو كنت أنا الشاهد لنفسي على صحة دعواي لكانت باطلاً ، ولكن غيري يشهد لي وأنا أشهد لنفسي ، ويشهد لي أبي الذي أرسلني) [٢] ، ومكتوب في التوراة التي يستشهدوني بها : (أن شهادة رجلين حق) .

وفي هذا الباب معنيان فاسدان ،

أحدهما : أنه ذكر أن الله عز وجل وهو أيضًا رجلٌ .

والثاني : أنه أقام شهادته لنفسه مقام شهادة غيره .

وهذا غلطٌ ومغالطة ممن حكاه عن المسيح ؛ لأن التوراة تقول : إن شهادة الرجلين لمن ادعى دعوى ، هذا قد أحل نفسه محل التهمة ودعى إليها الظنة في قوله : (لو كنت أنا أشهد لنفسي لكانت شهادتي باطلاً) والمسيح عليه السلام لا يليق به مثل هذا القول في نفسه .

وحكى (متى) في الفصل العشرين من إنجيله عن المسيح عليه السلام أنه قال : (يا رب إن أمكن صرف هذا الكأس عني فاصرفها عني ، ليكون ما تشاء أنت لا ما أشاء أنا) [٣] .

يعني بالكأس المنية ، وهذه غاية التضرع والخشوع .

---

(١) يوحنا ٥ / ٢٦ .

(٢) يوحنا ٥ / ٣١ .

(٣) متى ٢٦ /٣٩ ، ٤٠ .

وقال مرقس في الفصل الحادي عشر من إنجيله ، إن المسيح قال لتلامذته حين سألوه عن الساعة التي هي القيامة : (إن ذلك اليوم وملك الساعة لا يعرفه أحد ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن أيضًا يعرفه ، ولكن الأب وحده يعرف ذلك) [١] .

فهذا إقرار منه بأنه منقوص العلم ، وأن الله أعرف وأعلم منه ، وأنه غيره .

قال مرقس في الفصل الثامن من إنجيله إن المسيح قال : إني لم أجيء لأُخدم بل لأخدم) [٢] . فنسأل النصارى عن صاحب هذه الأقاويل ، هل هو الأزلي الخالق أو إنسان مخلوق ، فإن قالوا بل إنسان مخلوق مبعوث وافقونا في شريعة إيمانهم وخرجوا من دينهم .

وإن زعموا أن المقر بتلك المعاني التي ذكرناها وبيّناها هو الخالق الأزلي خرجوا عن إيمان الأنبياء ، وقضية الحكماء ، وقادهم قولهم هذا ، إلى أن يجعلوا الأزلي الخالق منقوص العلم ، مُتهم الخبر ، مجروح الشهادة ، محتاج إلى من يعطيه الحياة ، ويشهد له بصحة دعواه ، ويتملقه [٣] ويترضاه ، لقول المسيح في نفسه ما قاله ، كما حكيت عنه آنفًا في هذا الباب ، وإلى أن يصير أحد الاثنين واهبًا ، والآخر موهبًا له ، وأحدهما عبدًا خادمًا ، والآخر معبودًا مخدومًا ، وأحدهما تام العلم والقدرة ، والآخر ناقصًا عن مداه .

---

(١) مرقس ١٢ / ٣٢ .

(٢) مرقس ١٠ / ٤٥ .

(٣) يتملقه - من الملق وهو الوُدُّ واللطف . وتملقه أي تودد إليه وتلطف له .. راجع لسان العرب ١٠ / ٢٤٧ ط دار بيروت ومختار الصحاح ٢٦٤ ط مكتبة لبنان بيروت .

وهذا أشنع ما يكون من المحال والوهم ، وأشر ما يكون من رؤيا الصانعات والزور، وأقبح ما يكون من قول الدهرية[١] والمجوس [٢] لأنه إن كان قول والروح هذا مثل الأب في قدرته وخلقته فهو ثلاثه آلهة قدمًا كما قالت هذه الشريعة، فما الذي جعل الأب أحق بخدمتهما وطاعتهما من أن يكون هو نفسة يطيعهما ، ويخدمهما ، إذا كان لاتفاضل بينهما في شيء من الأشياء .

وإن كان بينهما تفاضل ، فالابن والروح دون الله في القدرة والقدم ، فإن ذكروا أن قائل هذه الأقاويل : هو إنسان مخلوق ، خالفوا شريعة إيمانهم وخلعوها ، وانسلخوا منها ، أما ترون يا جماعة النصارى - يهديكم الله - أنا كيف ما أدرنا الدوائر اسدارت على الدوائر المحددة المذمومة ، وسامت إما لمخالفة الإنجيل ، وإما إلى خروج عن المفهوم والمعقول ، أو إلى الكفر بشريعة إيمانهم .

وهذا القول كله يلزم اليعقوبية [٣] . الذين يقولون : إن المسيح هو الله ، وأن مريم والدة الله ، وأما ما يلزم من القول بالمساكنة واللزوم والاتحاد ، فإنه إن كان الخالق الأزلي قد مكن في يسوع المسيح ، وصار نزيلا له وضيفًا حتى لا فرق بينهما في شيء

---

(١) الدهرية : هم جماعة من الناس يقولون بأنه لاإله ولاصانع وكل الأشياء كانت بلا مكون ، ولا حياه بعد هذه الحياة ، فما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع ، وما يهلكنا إلا الدهر ، وقد توافر العلماء للرد على شبهاتهم وتفنيد أباطيلهم .

ولمزيد من التفصيل راجع :

الفصل لإبن حزم ٤ /١٦٧ ط مكتبة الخانجي بالقاهرة ، تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٥٥ ط دار الكتاب العربي د/السيد الجميلي ، التوحيد لأبي منصور الماتريدي ص١٤١ ط دار الجامعات المصرية ___ الإسكندرية بتحقيق د/ فتح الله خليف. الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٠٤ ط دار الآفاق الجديدة بيروت ، وشرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب نشرة الرياض.

(٢) المجوس : الأصل في كلمة المجوس أنها لفظة فارسية ، تطلق على أتباع الديانة المجوسية التي تقول بإلهين للخير والشر أو بأصلين للنور والظلمة وأختلف العلماء في شأن هذه الديانة بالنسبة إلى مُبلغها ، وأصلها ، وهل لهم كتاب أو شبهة في كتاب ومدى تأثير هذه الديانة على علماء المسلمين وأفكارهم ومعتقداتهم .

راجع : الفصل لابن حزم ، والملل للشهرستاني ، تلبيس إبليس لابن الجوزى ، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني.

(٣) اليعقوبية : هي فرقة من فرق النصارى يقولون: ، إن المسيح طبيعة مركبة من طبيعتين : أحدهما الناسوت والأخرى اللاهوت ، وهاتان الطبيعتان تركبتا فصارتا إنسانًا واحدًا وجوهرًا واحدًا وشخصًا واحدًا هو المسيح

وهو إله كله وإنسان كله ، ومريم هي والدة الله ، تعالى الله عما يقولون ، وقد رد على اليعقوبية في أفكهم هذا كثير من علماء النصارى الذين هداهم الله للإسلام ، أمثال : الحسن بن أيوب في رسالته ونصر بن يحيى في نصيحته ، وزيادة النصب راسي في كتابة بحثه .

من الأشياء ، فقد قال المسيح بما بيّنا في صدر الكتاب ، فشهادة الله إذاً على ما قال باطلاً ، وليس عنده علم الساعة ، ولا له القدرة على هذه الدرجات والكرامات ، وهذا هو الكفر المحض ، فإن لم يكن قائل ذلك خالق أزلي ، فهو إذًا كما قلنا مخلوق مبعوث ، وهذا بَونٌ عظيم وبعيد ، وفرقان ظاهر .

يزعمون أنه لا بنوة بينهم ولا فرقان ، وهو يقول : إن الساعة لا يعرفها الابن أيضاً لكن الآب وحده ، فهذه السبع المسائل المسكتات كافية لمن نصح نفسه ، ولم يُقْدم على الأحصار والأوجال ، وهي ترتب وتعدل من خالف المسيح ، ونَسَبَ إليه ماهو منه بريء ، وفرّقه بما ليس في كتابه ، وأنا أبرأ إلى الله عز وجل من شناعة هذا المعنى ، وقبيح ما يتولد من شريعة النصارى ، وقبيح اعتقادهم .

فصــــل

وأزيدكم أيضاحًا وشرحًا ، أرجو أن يزيد الله به الحق تأكدًا ووجوبًا ويزيد الباطل تهدمًا وانتثارًا ، وأجعل ذلك اثنى عشر وجهًا لا اختلاف بيننا وبينكم فيها، وأتأدب في ذلك، بما قال الله عز وجل في محكم كتابه (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله) (آل عمران: ٦٤)

× **الوجه الأول :**

من الوجوه التي توافقوا عليها أن الله تعالى قديم فردٌ لا شريك له في ملكه ولا ندّ .

× **الوجه الثاني :**

أن الله لا يغفر أن يشرك به وهو الغني الحميد .

× **الوجه الثالث :**

أنه لا أب ، ولا أم ، ولا خالات ، ولا أنساب ، ولا أتراب .

× **الوجه الرابع :**

أنه لا يُدرع ، ولا يوزن ، ولا يحيط به مكان .

× **الوجه الخامس :**

أنه لا يقبل الزيادة ولا النقصان .

× الوجه السادس :

أنه لا يأكل ولا يشرب ، ولا يجوع ، ولا يشبع .

× الوجه السابع :

أنه لا يقال لشيء من خلقه في قامته ، وعدد أعضائه ، وخلقه .

×الوجه الثامن :

أن الله لا يوصف كنهه ولا يصوره مصورٌ .

×الوجه التاسع :

أن الله لا يسأم ولا يَمَلُّ ، ولا تأخذه سنة ولا نوم .

×الوجه العاشر :

أنه محيط بكل شيء علمًا ، ولا يخفى عليه خافية في أرض ولا في سماء.

×الوجه الحادي عشر :

أنه غلاّب عزيز لا يُذل ولا يرهب .

×الوجه الثاني عشر :

أن الله تعالى لا يبلى ولا يموت .

فهذه اثنا عشر وجهًا اتفقت الأمم الموجودة ، والأديان المُسَدَّدة عليها ، أن الله لا يُعرف إلاّ بها ، ولا يُعبّر بخلافها ، فإن ذكر ذاكرٌ خالقًا بخلاف هذه الوجوه : فيعلم السامع أنه مبطلٌ ، وأن الموصوف بغير ما ذكرنا مخلوق، وليس بخالق ، زمنى ، وليس

بأزلي ، فالشاهد الأول على الله كما قلنا في التوراة ، قال الله تعالى لموسى - عليه السلام- (إنه لن يراني أحد فيحيا) [١] .

وقال سبحانه لموسى :(لا تشبهني بشيء مما في السماء ، ومما في الأرض) [٢] .

وقال داود حارس بني إسرائيل : (لا تأخذه سنه ولا نوم) .

وقال داود النبي- عليه السلام- عن الله عز وجل- أنه قال : (لست آكلاً لحم المجاجيل ولا شاربًا من دماء الجدي ، فقال داود : ملكوتك يارب إلى دهر الداهرين وسلطانك إلى أبد الآبدين) [٣] .

وقال داود : إن ربنا عظيم وله الحمد المرضي التام ، ولا نهاية إذًا لجلاله [٤] .

وقال يوحنا في الفصل الأول من إنجيله : إن الله لم يره أحد قط [٥] .

وقال يوحنا في الفصل التاسع من إنجيله : إن المسيح قال لبني إسرائيل:

(تريدون قتلي وأنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله تعالى يقوله) [٦] .

وقال يوحنا في الفصل الثاني عشر من إنجيله : إن المسيح رفع بصره إلى

---

(١) يدل على هذا المعنى في التوراة قول الله لموسى ((واما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا على الرب لئلا يبطش بهم)) خروج ١٩ / ٢٤.
وبدل أيضا عليه قول بني إسرائيل لموسى ((تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت)) خروج ٢٠ / ١٩

(٢) يدل على هذا المعنى : (لا يكن لك آلهة أخرى أمامي . لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا . ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت ، وما في الماء من تحت الأرض) خروج ٢٠ / ٣ . ٤ .

(٣) وردت هذه العبارة في المزمور الخمسين فقرة ١٣ بلفظ : (هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس) . ومقولة داود. (ملكوتك يا رب إلى دهر الداهرين ..) وردت كثيرًا في غير ما موضع من المزامير .

(٤) مزامير ١٤٥ / ٣ .

(٥) يوحنا ١ /١٨ .

(٦) يوحنا ٨ / ٤٠.

السماء، وتضرع إلى الله وقال : (إني أشكرك على استجابتك دُعائي ، وأعترف لك بذلك ، وأعلم أنك في كل وقت تجيب دُعائي ، لكنني أسألك من أجل هذه الجماعة ، ليؤمنون بأنك أنت أرسلتني) [١] .

فأي تضرعٍ واستكانة وإذعان أكبر من هذا ، وإنما قال ذلك في الرجل الذي أقامه من بين الموتى .

وقال يوحنا في الفصل الخامس من إنجيله : إن المسيح قال لليهود : (ما تؤمنون وأنتم تلتمسون الجمة من بعضكم بعضًا حمدا لله الذي يُعبد ولا تتعبوني) [٢] .

وقال بولس في رسالته إلى طيماقيوس :

(لله العوالم والدهور الذي لا يفسد ولا يُرى ، وهو الله وحده وله الكرامة والمجد إلى أبد الآبدين) .

وقال يوحنا في الفصل التاسع من إنجيله :

إن المسيح قال لليهود : (أنتم تفعلون أفعال أبيكم ، فقالوا : إنا لم نكن من الزنا، ومالنا إلا أب واحد وهو الله ، فقال المسيح: لو كان أبوكم الله كنتم تحبوني ، لأني من عند الله خرجت وجئت ، وليس من تلقاء نفسي جئت ، ولكن هو أرسلني ، قال اليهود : لسنا بمصيبين في قولنا إنك سامري ، وأن فيك شيطان ، قال لهم : لست بمجنون ولكن أكرم أبي ، ولا أحب مدح نفسي ، بل أمدح أبي بأن أعرفه ، فإن قلت : إني لا أعرفه ، كنت كاذبًا مثلكم ، بل أعرفه ، واتمسك بأمره) [٣] .

---

(١) يوحنا ١١ /٤١، ٤٢
(٢) يوحنا ٥ /٤٤
(٣) راجع حوار المسيح عليه السلام مع اليهود في إنجيل يوحنا .

وقال في رسالته إلى طيماقيوس:

هو الله القوي وحده ، وهو ملك الملوك ، وهو رب الأرباب ، الذي لا يفسد ولا يبيد وحده ، وهو الذي يحل في النور الباهر ، الذي لا يقدر أحدٌ أن يدنو منه ، الذي لم يره أحدٌ من الناس ، ولا يقدر أن يراه ، وله الكرامة والسلطان إلي أبد الآبدين آمين.

وقال نسطورس (رئيس النسطورية) - في تسبيح لهم يقوم مقام الأيمان :

يا رب إن نسجد ونسبحك ونكبرك (تأَءَهًا) الدائم والجوهر المستور ، الذي لا يُدرك ، يا ملك الملوك ، ورب الأرباب ، الذي يحل في النور الباهر ، الذي لم يره أحد قط ، ولا يقدر أن يراه ، فهو القدوس وحده ، وله الحول والقدرة وحده .

الذي لا يموت وحده ، فهذا إيمان موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين . فمن خالفهما ضلّ وخرج عن الحق ، وخرج عن ولاية الله ، وجميع ما قال الأنبياء ، ووافق لما وصفناه من صفات الله ، وفي الوجوه الاثنى عشر المتقدم ذكرها وكل ما قال الأناجيل الأربعة ، وما تكلم به الحواريون ، نشهد بحقيقة ذلك .

وقد أقر المسيح عن نفسه أن له لحمٌ وعظمٌ ، فإن كان كما قال النصارى إنه خالق أزليّ ، فالخالق الأزلي إذًا مذروعًا موزوناً ، ومن كان كذلك فإنه يقع عليه التجزء والتقطيع ، وما يجزئ ويمسح من الأجسام ، فإن النار تحرقه ، والماء يغرقه ، والشاهد على المسيح أنه كان غير ممتنع عن التقطيع والتجزئة والمساحة ، والأنجيل في قوله (إن المسيح قطعت غرلته ، وسمرت يداه ، وطعن في جنبه) ومن كان هكذا كان له أشباه ونظراء ، ومن كانت له أشباه ونظراء ، فليس بإله حق ، ولا خالق الأشياء ، والله عز وجل تعالى أن يوصف بهذه الصفات .

لكن الموصوف بما وصفتموه عن المسيح ليس بخالق أزلي ، بل مخلوق وليس برازق واهب ، بل موهوب مرزوق ، فهذا مخالف الشروط التي شرطناها من صفات الله التي قدمنا ذكرها ، وإذا وضح أنه مخلوق ، بطلت شريعة إيمان النصارى التي تقول : إنه خالق أزلي وقد نطق الإنجيل الأول أن المسيح قصّ شعره ، وقلّم أظفاره ، وذهب طولاً وعرضاً ، وإن كان يسوع المسيح خلقاً أزليًّا ، وقد بانت منه هذه الأجزاء

وتفصلت من جسمه وانقطعت من كله وعادت رميمًا وترابًا ؛ فالخالق الأزلي قد فسد بعضه وبقي بعضه على حاله .

وما فسد بعضه فالفساد واصل إلى كلّه ، وما كان له كلٌّ وبعضٌ فهو جسم محدودٌ محتاجٌ على ما يحمله ، وما كان كذلك فهو مفتقر ، وليس بغني ، ومخلوق وليس بخالق ، وهذا خلاف الشرائط في الإلهية .

مذهب اليعقوبية

فإن يكن الموصوف بهذه الصفات خالق أزلي ، كانت شريعة الأيمان باطلة فإنها تقول : (إن يسوع المسيح إله حق ، وأنه خالق غير مخلوق) ، فتدبروا يا أهل المعاني والأذهان هذه المعانى، واحذروا التهاون والاغترار ، فهذا يلزم اليعقوبية الذين يقولون : إن المسيح هو الله ، فأما الحجة على من قال بالمساكنة ، والحلول ، والاتحاد ، فإنه لم يكن بين الأزلي الخالق وبين المسيح فرقٌ ؛ لأنهما اتحدا وتلاحما ، والمقطوع غرلته ، والمقصوص شعره ، والمقلم أظفاره ، والمطعون في جنبه ، والمسمر في يداه ، والذي كسرت أنيابه ، وسال دمه ، وخرجت نفسه هو الخالق الأزلي ، لأنه لابينونة بينهما كما زعمتم ولا فرق ، فإن لم يكن المفعول به ذلك أيضاً أزليًا خالقاً ، فهو إذًا إنسان عبدٌ ابن أمة ، وفي هذا تفريق بين الله سبحانه وبين المسيح ، وفسخ لشريعة الأيمان ، وقد قال الإنجيل : إن المسيح قد أكل ، وشرب ، وقام ، ونام ، وجاع ، وذهب ، وهرب من الموت ، وسهر كذلك ، وعرق عرقاً كمثل غبيط الدم .

فإن كان الموصوف بهذه الصفات والأعراض هو الأزلي الخالق ، فالأزلي الخالق إذًا قد أكل وشرب وغاط وبال ، ويعتريه الفرق ، ويستهويه القلق ويترشح من جبينه العرق ، وما كان كذلك فهو بخلاف تلك الشرائع المشتطة ، وليس بخالق أزلي ، بل هو مخلوق ، والحجة أيضاً على من يقول بالمساكنة والاتحاد ، فإنه إن لم يكن بين الأزلي الخالق ، وبين يسوع المسيح فرقانًا في شئ من الأشياء ، فالأزلي الخالق إذًا قد أكل بأكل يسوع المسيح ، وجاع بجوعه ، وبكى ببكائه ، وهرب بهربه ، وقتل بقتله ، وهذا من أشنع ما يكون من الفِرْية والافتنان ، وأشد ما يكون من التصغير لعظمة ذي الجلال والإكرام .

فإن جحد جاحد أن يكون المسيح قد اعترته هذه الأعراض التي ذكرناها لزيّه

بالأنجيل لأن متّى قال في الفصل الثاني من إنجيله :

(إن المسيح صام أربعين يومًا بلياليها ، ثم جاع آخر ذلك) [١].

ويقول متّى في آخر الفصل العاشر من إنجيله :

(إنه انتقل من هناك وسار إلى مدينته) [٢] .

ويقول لوقا في آخر إنجيله في الفصل الحادي والعشرين :

(إن المسيح لما حلّ به الأمر ، وضاق للخوف ذرعًا كان يصلي مجهداً ويعرق عرقاً كالدم) [٣] .

وقال مرقص في الفصل الثالث من إنجيله :

(إن المسيح كان نائماً على وسادة في السفينة فدنا منه التلامذة وأنبهوه) [٤].

فأي بيان وشرح يكون أعظم من هذا ، فأما تلك المعاني التي تقدمت ذكرها فكثيرة وقد قال قومٌ من النصارى : إن الله لما أراد بنزوله ورجوعه إلى السماء أن يُشرف بذلك جنس الناس حقيقًا ، ولئن كان صعود إنسان واحد إلى السماء شرفًا بهذا لأهل الأرض أجمعين ؛ لأن انحطاط خالق الدنيا ونزوله لمحاربة الشيطان وإمكانه إياه من نفسه حتى قُتل عارًا ومنقصة لأهل السموات و الأرض .

ويقول متى في الفصل الثاني من إنجيله :

---

(١) متى ٤ /٢.
(٢) متى ١١ /١.
(٣) لوقا ٢٢ /٤٤.
(٤) مرقس ٤ /٣٨.

(إن روح القدس ساق يسوع المسيح ، ليمتحنه الشيطان ، وأنه ظل يتردد مع الشيطان في البر صائمًا أربعين يومًا بلياليها ، وأنه حضره ذلك الذي يمتحنه فقال له : إن كنت ابن الله ، فقل لهذه الصخرة تصير خبزًا ، فقال له المسيح مجيباً له: إنه مكتوب أن حياه الأنسان لاتكون بالخبز ، بل بكل كلمة تخرج من فم الرب - يريد الله - ثم ساقه الشيطان إلى مدينة القدس ، وأقام على شفير الهيكل ، وقربه بالحجر ، قال له المسيح : ومكتوب أيضًا لا تجرب الرب إلهك ، ثم ساقه الشيطان إلى جبل عالٍ شامخ ، وأراه جميع ممالك الدنيا وزخرفها ، وقال: إن خررت ساجدًا على وجهك لي جعلت هذا كله لك ، فقال له المسيح :

اغرب أيها الشيطان ، فإنه مكتوب اسجد للرب إلهك ، ولا تعبد شيئًا سواه، فلما سمع الشيطان ذلك تركه ، وحضرته الملائكة لخدمته)[(١)] .

فإن كان المفعول به ذلك هو الخالق الأزلي ،فقد تردد الخالق الأزلي إذًا مع الشيطان ، واتبعه ، وسار معه ليمتحنه الشيطان ، فإن لم يكن المفعول به ذلك خالقًا أزليًا ، بطل ما في شريعة الإيمان ، التي تقول : إن المسيح خالق أزلي وإله حق قائمًا على الملائكة .

---

(١) راجع القصة في ((متى)) الإصحاح من أوله حتى فقرة رقم ١١ .

عقيدة النسطورية

والنسطورية[1] ، وهم الجراميقة من هذه الحجة فمثل ما على أولئك ، لأنهم فيما يزعمون : أنه لافرق فيما بين المسيح وبين الله في شيءٍ من الأشياء ، فقد تردد الخالق الأزلي ، وسار مع الشيطان ، ودعاه الشيطان إلى عبادته ، وأن يسجد له ، وإن لم يكن المتردد المنساق معه الخالق الأزلي ، فهو إذًا عبدٌ ابن أمة ، فهذا تفريق بينهما بين فكيف زعموا أنه لا بينونة بينهما ولا فرقان ، فمن فكر في هذا الباب وحده، وأنعم النظر والتدبير ، ثم لم يرتدع ، ولم يتضح ذلك الحق في قلبه ، فلا حاجة لله به ، وقد ذكروا أن سبب نزوله ، إنما كان لحلّ الناس من إصر الخطيئة، ثم زعموا أنه صار هو نفسه أسيرًا ، وجاء مُغيثًا للناس فصار مستغيثًا بالله من الشيطان ، وجاء منقذًا للناس من الشيطان ، واشتملته الأشرطة ؛ لأن الشيطان كرّ عليه بعد ذلك ، واختلسه وافترسه ، ودمدم عليه ، ثم قتله .

إن هذا القول لما تكاد السموات أن تقع على الأرض من قبحه وتذهل الأنفس من شناعته ، وإن من عجب العجب ، اضطرار الخالق الأزلي إلى أن أنزل ابنه الأزلي من السماء ، ثم يرسله إلى الشيطان على يدي روحه الأزلية القاهرة ليمتحنه الشيطان ونهيه .

---

(١) النسطورية : فرقة من فرق النصارى ، وينسبون إلى نسطور الحكيم ، قال بأن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة ، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات الألهية بل هي هو ، واتحدت الكلمة بجسد المسيح ، أو حل اللاهوت في الناسوت .
والحلول أو الاتحاد عندهم يجعل المسيح شخصين وطبيعتين لهما مشيئة واحدة ، وهذا لا يجعلهما متغايرين ، بل متلازمين ، فاللاهوت لم يفارقه قط .
وهاتان الطبيعتان أو الأقنومان ، الإلهي والإنساني بوجودهما صح من المسيح أن يأتي بالأفعال الألهية والأفعال الإنسانية هذا هو معتقد النسطورية ، وقد نوقشت هذه العقيدة من قبل كثير من العلماء سواء المسلمين أو النصارى ، لمزيد من التفصيل راجع :

١) الجواب الصحيح لابن تيمية (مواضع متفرقة)
٢) هداية الحياري ص ١٦٥
٣) الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام للقرطبي ص ١٢٧ دار التراث .
٤) تاريخ بن البطريق لإفتيتوس الملكي سعيد بن البطريق ط بيروت .
٥) أعلام النبوة للماوردي ص٣٦ ط١ دار الكتاب العربي بيروت .
٦) الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٢٢٤ ط دار المعرفة بيروت .

أو من ذا الذي أوجب عليه ذلك ، وما كان دركه ، ودرك خلقه فيه ، وما أحسب أن هاجٍ هجا الله تبارك وتعالى مذ قامت الدنيا ، ولا مدح الشيطان مادحُ أكثر مما تقوله النصارى من ذلك ، وذلك أن مدار الشريعة والتسابيح التي يقرؤها في كل يوم، على أن الله وابنه وروحه صاروا إلى الشيطان ومعهم الملائكة والسماتون ، وخيار أهل الأرض أجمعين .

ونهضوا لمحاربة الشيطان وقمعه ، وإبطال الخطيئة ، ورفع الموت عن الناس كافة ، فلم يلتقوا ما أرادوا بل زادوا الشيطان تمردًا ، واجتراءً على الله ، وأمنًا من أخذه ؛ لأن الشيطان لما أسلم من أعدائه ، ودام على حاله ، حلا له الجو وصفا له الكدر ، وأفرح عنه الروع ، ولأن الحزن انجلب عن ابن الله فيما يقولون ، فصار أسيرًا لهم قتيلاً ، والموصوف بهذا كله يخالف الشرائط التي اشترطناها من صفات الله عز وجل ويمحق هديته .

فقدان المسيح للشرائط الإلهية

لأن في إنجيلهم أن المسيح : قد لُفَّ في الخرق ، ورضع في المعلف ، وزاد الوليمة تعاطيًا بالحلية- على ما قال يوحنا في إنجيله - وغسل أقدام تلامذته ، وركب حمارًا، وعُلق في خشبة ، وكان له أنساب وأ تراب كثيرة لا يحصون ، ولا يصف الواصفون ويصور المصورون ، وتحيط به الأماكن ، ويتردد وينام ، ويسأم .

فإن كان يسوع المسيح ، هو الخالق الأزلي ، أو صار مع الخالق الأزلي شيئاً واحداً لا فرق بينهما في شيءٍ من الأشياء ، فقد التفت على خالق الكل الخِرَقُ ، وأحاطت بجسمه الأردية والسرابيل ، ومن وسع كرسيه السماوات والأرض وسعته الأردية والمعلف ، والذي برأ النسمة وفلق الحبة دار الولائم ، ونادم اليهود ، وسُمي نجارًا ، وانتسب إلى اسم ، وإلى يوسف النجار كما يقول الإنجيل ، والذي خلق الأفلاك والبحار والأنهار استقل به حمارٌ ، وبنط من عود ، والذي لا أول ولا آخر له ولا ندَّ ولا نظير ، كان له مائة ألف نظير في خلقته وصورته وعدد سنيه وأيامه التي ابتدع الأنفس والأبدان .

وبرا الاستطاعات والبطش ، فقتله شرذمة من اليهود متعبدة ماسُورَة ، ومتى كان ذلك ، فهو مخالف لشرائط الله تعالى .

الرد على النسطورية

والحجة على الذين يزعمون أنهم لا يفرقون بين الآب والابن والمسيح :

أنكم زعمتم أن للمسيح أمًّا وأخوالاً وقرابات ، وأنه ركب الحمار ، وأكل وشرب تغوط وبال ، أفتقولون أن لله أمًّا ، وأخوالاً ، وأباً مثل إبراهيم وداود

فإن قالوا عن الله مثل ذلك لم يستحقوا جواباً ولا عتاباً ، وإن لم يصفوا الله تعالى بهذه الصفات التي هي صفة المسيح ، فقد فرقوا بين الله تعالى وبين المسيح أشد تفريقاً ، وإن لم يفرقوا بين الله تعالى وبين المسيح ، فيقولوا هذا كتاب مولود الله الأزلي بن داود بن إبراهيم . ولم يقولوا كتاب يسوع المسيح [١] .

(١) كان من الممكن معالجة فكرة القول بأن لله أمًّا ، وأخوالاً ، وقرابات. ومدى افتراق ذلك مع فكرة الألوهية ، التي تقتضي التفرد في كل شيء وعدم المماثلة ، لكن بن أبي اكتفي بإبطال هذه الفكرة في أثناء حديثه عن (نظرية أبوة الله للمسيح) .

قول اليعقوبية

وقد قالت اليعقوبية ومن أشبهها : إن جميع ما نطق به إنجيلهم من أكل المسيح ، وشربه ، وتغو يطه ، وبوله ، وهربه كان تخاييل وتماثيل ، ومن قال بهذا القول لزمه أن يجعل إنجيله كذباً وزوراً ، ومن جاء به من الحواريين كذبة أفاكين ; لأن من قال: أكل وشرب ، وتضرع إلى الله وبكى من غير أن يكون ذلك حقيقة وصدقا فهو عند الناس كلهم من الكذبة المبطلين [1].

وإن كان المسيح إلهاً خالقاً ، ثم قال في نفسه إنه عبدٌ ، وإنه مخلوق ، وأن له إلهاً، فقد كذب على نفسه ، وموّه على الناس شأنه ، وألجأهم إلى الكفر ، وبه قال القوم: إنه صام وصلى ، وفعل تلك الأفاعيل ليعلم الناس ذلك ، ولم تزل اليهود من قبله تصوم وتصلى وتأكل وتشرب ، وتأمرهم أنبياؤها بالخير والبر ، فما كان حاجتهم إلى تعليم ذلك بنفسه ، وما كان حاجتهم إلى أن يتمثل لهم ، فيعلمهم التغويط والبول والنوم والاشتغال والتردد مع الشيطان، فهذه مسائل لازمة ومعانٍ مكشوفةٍ، فقد رفعت عنها المستور ، فلا يدفعها من نظر لنفسه وسعى لمعاده ، ولا يغترر ولا يُخلط ، وكلها تعود إلى إبطال شريعة الإيمان ، وإما إلى إبطال الإنجيل ، وإما إلى التفرق بين المسيح وبين الله ، وذلك نسخٌ لتأويل تلك الأصناف كلها .

---

(١) إن التناقض في الفكرة الواحدة ، لايعني سوى إختلالها وعدم ثباتها ، ومن هذا المنطلق يرد ابن ربن على اليعقوبية . ومنطلقه في ذلك ، أنهم يؤمنون بالإنجيل ، والإيمان : التصديق ، فكيف يجتمع تصديق مع تكذيب ؟! ومن هنا يُسقط حجة اليعقوبية .

قلبُ النصارى لأمور الدنيا والآخرة

ولا أدرى ما الذي دعا النصارى إلى أن يجعلوا أمور الدنيا والآخرة معكوسة ومنكوسة ، ولا أدرى لمن أفتوا في ذلك من الأنبياء والحكماء ، ومن ذا الذي دان به منذ قامت الدنيا ؛ لأن من قال إن اللحم والدم كان منهما الخالق ، فصار الخالق الأزلي لحمًا ودمًا ، وصار القديم الذي لا نهاية له مشاهدًا محدودًا مذروعًا ، والذي لا يموت صار ميتاً ، والذي قد صُلب ومات- فيما يذكرون - قد صار إلهًا لا أول له ولا آخر ، فقد قلب النصارى بهذا القول الأشياء كلها ، فجعلوا سافلها أعلاها ، وهذا قول من مَسَّه حيل وعلبه ، أو عمى وسكر ، ومتى زعموا عن المسيح أنه ابن داود بن إبراهيم وقد كان قبل داود وقبل إبراهيم ، وأنه خلقهما ، فقد جعلوا الابن المولود جدّ الأجداد وأنه خالق لآبائِه ، وهذا أمر عظيم ، وحادث شنيع لا يسكن إليه إنسانٌ سويٌّ، ولا ذو عقل نقيٌّ .

لأنهم يصيرون رجلاً قد أقر بأنه إنسان ، وأنه رجلٌ موهوب مبعوث ، وأقروا تلامذته بمثل ذلك ، وقالوا إن الله أقامه من بين الموتى ، فيصيرونه خالقاً أزلياً ، ومن المحال أن يكون من لم يزل ولا يزول ، يرضى بأن يقال عنه أنه استحال لحمًا ودمًا ، واستفزه الشيطان ، واضطربه الحدثان إلى أن نزل من السماء ، وأنشأ هربًا ، ثم انهزم عنه مغلوفًا منكوبًا ، ورجع إلى الموضع الذي خرج منه ، فإن كان النصارى نُوجوا في هذا القول موافقة للمسيح ، فإن المسيح يبرأ إلى الله أن تكون إرادته في تهجين الله وثلبه ، وتوهين عظمته وعزه ، بأن يقال فيه : إنه من جوهر الله القديم وأنه خالق الدنيا بكل ما فيها .

وكيف يقول ذلك المسيحُ ، وهو معترف وتلامذته ، مقرون في أناجيلهم بأن الله هو الذي بعثه إلى الدنيا ، وأقامه من بين الموتى ، وهو الذي أكرمه وعظمه واصطفاه

كما بيّنّا وقدمنا ذكره ، وفي التوراة والإنجيل وكل الكتب فكيف يظنون بخيرة الله ، وبخيبة المنسوب إلى كلمته وروحه أنه بخيال العيان ، فيقول في نفسه ما يدل التنزيل على خلافه ، وهو القائل في الإنجيل ما ذكره متّى التلميذ (ليس لي يا سيدي مدخل في ملكوت السماء ، ولكن من عمل بمرضات أبي) وهو القائل - أيضًا - إني ذاهب إلى أبي وأبيكم ،وإلهي وإلهكم) [١].

ويقول : (إن الله أرسلني وأعطاني) ، وكثير مثل هذا نطقت به الأناجيل كما قدمت ذكره .

فإن قالت النصارى: إن هذه المقالة والديانة ، وإن كانت منكرة فظيعة ، فهو دينه قد التقاه وتقلدناه عن آبائنا ، وإن ربنا رحيم كريم .

فالجواب إذًا : ما صلىّ عباده ، وسهروا ، وصاموا ، وتصدقوا ، وكفوا عن المظالم والعدوان ، ولم يؤاخذهم بشيءٍ ، وسَواء من قال بهذا القول كان على النصرانية ، واليهودية ، والمجوسية ، وغيرها إذا كان الاعتماد ليس على معرفة الله والإيمان به ، بل على الإحسان ، وهكذا قالت الدهرية ، وكثير من المجوس وغيرهم .

وإذا نصح النصارى أنفسهم علموا أن الأمر ليس كذلك ، وإن من زعم أن الأمر كان خالقه حجرًا أو شجرة أو دابة أو إنسان ، فاجتهد في عبادته ذلك لم يغن صومه وصدقته وعبادته عنه شيئاً [٢] .

---

(١) راجع متى ٧ / ٢١.

(٢) من المعلوم أن الإيمان هو الأصل الذى تبنى عليه الأعمال ، فإذا ثبت الأصل ، قبلت الفروع ، فالإيمان بالله هو أساس قبول الأعمال من الإنسان ،ومنه فإنه لا ينفع مع الكفر طاعة ، وليس في هذا إجحاف للنفس البشرية ، فخالقها قد أخبر :

(إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

وقال أيضًا :

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله حبطت أعمالهم)

وسبحانه وتعالى قد تكفل بأرزاقهم وأقواتهم من يوم أن خلقوا إلى يوم قيامتهم ، أفلا يكفى هذا مقابلاً لما فعلوا من أعمال صالحة مع كفرهم ونكرانهم له ؟!!!

شريعة الإيمان وفسادها

وقد رأيت في شريعة النصارى من التناقض والانفساخ ، ما أنا مبيّنه لهم ، وكاشف الغطاء عن شريعتهم ، التي لا يتم لهم قربانًا ولا نُسكًا إلا بها ، وأذكر ما فيها من مخالفة الإنجيل وسائر الكتب ، وإذا انكشف ذلك فسد الإيمان بها ، وبدت لمن تميز منهم سائر القوم الذين يشرعوها ، وقلة تحرجهم ، وقلة إقدامهم على الأباطيل والبهت ، فأول الشريعة ومساحتها :

((نؤمن بالله الواحد الآب ، مالك كل شيء ، صانع جميع ما يُرى وما لا يُرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها، من أزمن أبيه ، قبل العوالم كلها ليس بمصنوع إله حق من جوهر أبيه ، الذي بيده أنفقت العوالم كلها، وخلق كل شيء ، الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء، وتجسد من روح القدس ، وصار إنسانًا ، وَحُمِلَ به ، وَوُلِدَ من مريم البتول ، واتجع، وأولم ، وصلب في أيام فيلاطوس ، ودفن ، وقام في اليوم الثالث ، كما هومكتوب ، وصار إلي السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعدٌ للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحي الذي يخرج من أبيه روحاً محيية ، ومعمودية واحدة ، لغفران الخطايا ، ولجماعة واحدة جاثليقية ، وبقيامة أبداننا ، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين .

فهذه الشريعة تجتمع على الإيمان بها ، وتبذل المهج دونها جماهير النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية ، ولا يشذ عنها إلا الجزء الأقل من النصارى ، فإذا وضح فسادها ، وغش من ألفها ، وجب على كل من يتضح له ذلك من النصارى أن يتدبر ذلك بعين الصحة والنصحية والمحبة لله عز وجل وللمسيح ، وأن يترك اللجاج والتقليد (١) ؛ لأن أول الشريعة ونؤمن بالله كل شيء صانع ما يُرى وما لا يرُى .

(١) اعتمد كل من نصر بن يحيى والحسن بن أيوب في مجادلتهم للنصارى وخاصة في مسألة (نقض شريعة الإيمان) على علي بن ربن الطبري اعتمادًا كبيرًا ، فنقلوا نص الشريعة بتمامه من ابن ربن ، كما نقلوا أوجه بطلان الشريعة منه ، مما يعطي لابن ربن سبقًا في هذا الميدان ، كما يعطي لنقوله وثائقية علمية في الاعتماد نظرًا لتدمه وتقدمه في النصرانية ، واعتماده على مصادر إنجيلية قديمة هي في عداد المفقودات .

أنواع الفساد والبطلان في شريعتهم

الوجه الأول :

ثم حذفوا ذكر الله عندها واستأنفوا ذكرها ، وقالوا : ونؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح الحق من إله حق من جوهر أبيه ، فهذا نقض الأول من قولهم لإنجيله (دو نصفه وفهم) لأنهم قالوا نؤمن بالله الواحد ، ثم قالوا عقب ذلك وعلى نسقه .

الوجه الثاني :

ونؤمن أن يسوع المسيح هو خالق كل شيء بيده ، فاثبتوا هاهنا خالقًا آخر غير الخالق الأول ، وهذا أيضًا تناقضًا لإنجيله(دو نصفه وفهم): لأن معنى التناقض:

أن يكون الكتاب والكلام مختلفًا يكذب بعضه بعضًا ويخبر أوله بخلاف أخره ، وكل كتاب أو كلام إذا كان يكذب نفسه ، فلا حاجة لمكذبه إلى استشهاد غيره إليه [١] .

الوجه الثالث :

أنهم قالوا في أول الشريعة : (نؤمن بإله خالق ما يرُى ، وما لا يرُى) ، ثم قالوا عقب ذلك : (إن يسوع المسيح خالق كل شيء وأن غيره مصنوع) ، وقد جعلوه في

---

(١) يشير ابن ربن أن التناقض وحده كاف لإهدار الفكرة فلا يحتاج معه إلى تفنيد ولا إلى تعليق .

القول الأول مصنوعًا ، وأدخلوه في جملة المخلوقين في قولهم : (خلق جميع ما يُرى وما لا يُرى) فهذا تجاهل وتناقض لإنجيله ونصفه وفهم .

الوجه الرابع :

أنهم قالوا فيها : إن يسوع المسيح إله حق من إله حق من جوهر أبيه ، وقد أقر يسوع المسيح أنه لحم ودم وعظم ، فإن كان إلهًا حقًا من جوهر أبيه ، فإن الله تعالى إذًا لحمٌ ودمٌ وعظمٌ - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - وفي هذا تناقض ونسخ لشريعة الإيمان ، ولو أن مشيرًا أشار إلى الظلمة فقال :

إنها من جوهر الشمس كذبناه ، ولو أشار إلى النار المتوقدة فقال : إنها من جوهر الثلج كذبناه ، فكذلك من قال : إن الجسم المذروع الموزون من جنس لا يذرع ولا يوزن ولا يتناهى كذبناه واسترذلنا قوله وكنا معذورين في مهاجرة رأيه ومعاتبة من تمسك بمثله .

الوجه الخامس :

أنهم قالوا في الأمانة :

(إن يسوع المسيح بكر الخلائق ، وليس بمصنوع) .

فكأنهم قالوا : إنه مخلوق وليس بمخلوق ، لأن بكر الخلائق لا يكون إلا من الخلائق ، كما أن بكر الإنسان لا يكون إلا من الإنسان ، أو باكورة لا تكون إلا ثمرة ، لأن معنى البكر هو : الأول ، فبكر الشيء هو من الشيء الذي بكره ، وكما أنه من

المحال أن يقول قائل : إن بكر ولد آدم ملك من الملائكة أو يكون باكور الثمار من حجر أو من حديد ؛ فلذلك إن من المحال أن يكون بكر المصنوعات إلاّ مصنوعًا ، وبكر المخلوقات ليس بمخلوق فهذا تناقض بينٌ لا يخفي على من طلب الحق وراقب الرب.

الوجه السادس :

أن يسوع المسيح أنه خالق أزلي ، ولد من أبيه قبل العوالم ، وليس بمصنوع وليس يخلو أن الآب أولد شيئًا موجودًا أو غير موجودٍ ، وإن كان الابن لم يزل موجودًا ، فإن الآب ، لم يلد شيئًا وذكر الولد والمتولد .

فَصْل ، ويقول بكل كذب وزور ، وفي ذلك بطلا ن شريعة الإيمان ، وإن كان الأب أولد شيئًا حادثًا لم يكن الابن إلا محدثا كما ذكرنا ، وفي ذلك أيضًا نسخ لشريعة الإيمان وبطلانها ، فإنها تقول : إن المسيح مولود ، وأنه أزلي خالق .

الوجه السابع :

أن الأمانة تقول :

إن المسيح إله حق من جوهر أبيه ، ثم ذكرت أنه نزل وتجسم الروح القدس، ومعنى القول أن يسوع المسيح نزل وتجسم من الروح القدس، يسوع المسيح الذي كان جسمًا محدودًا نزل فتجسم ، وإنما يتجسم من لم يكن جسمًا محدودًا نزل فتجسم، وإنما يتجسم من لم يكن جسمًا . فأما من أقر بأنه جسم ، فما معنى تجسمه (أرأيت) معنى المسيحية قد أذهل قلوبًا كثيرة وحيّر أقوامًا ، ومن تدبر هذا الاسم على أن فيه دليلاً على أن المسيح هو الممسوح ، وماسحه الله الأزلي القدوس

الذي لا يماسه شيء ، ولا يماسحه شيء ، ولا يشاكله شيء كما قال لوقا في (كتاب قصص الحواريين) في الفصل الرابع عشر منه :

(إن الله خالق العالم بجميع ما فيه ، وهو رب السموات والأرض ، لا يسكن الهياكل التي بنتها الأيدي ، ولا تناله أيدى الرجال، ولا يحتاج إلى شيء من الأشياء؛ لأنه هو أعطى الحياة والنفس ، فوجودنا به ، وحياتنا منه .

فقد بان قاله لوقا ، وقالت الأنبياء :

(إن كل ساكن في مكان ، أو مسكون فيه ، أو ماسح ، أو ممسوح فهو جسم من الأجسام محدود محاط به) والله تعالى ذكره لا يُحَدُّ ، فمعنى المسيح ما بيّنا وهو الممسوح ، ومثل ذلك في لغةِ السريانية ، والعبرانية كثير ؛ لأن معنى أكثر الفعل عندهم هو مفعول ، كقولهم : حبيسًا وهو محبوس وقتيلاً معناه مقتول ، ووليدًا معناه مولود ، وكذلك مسيحًا ممسوح ، فلا ينهبن وهَمّ السامع له إلى أنه اسم سماوي إلهي [1] .

وقالت اليهود ، تَمسّح ملوكها وأنبياءها بدهن مبارك ، وقد قال داود عليه السلام ما يدفع الشعب والشك ، واحتج يونس عليه السلام بنبوته هذه في كتابه بأنه نبينا على المسيح فقال في المزمور الخامس والأربعين : (يا من فاق الناس جمالاً ، لقد أفرغت الرحمة على شَفَاهَا) وقال (فمن أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن السرور أكثر مما مسح به نظراءك) [2] .

فأبان النبي بهذه الآية ما معنى المسيح ، وإنما مسحه الله إلاّ لأنه مصطفى مكرمًا ، وأنه له إلهًا .

---

(١) تؤكد المقارنة السابقة وغيرها بين العربية وأخواتها السامية اضلاع ابن ربن في هذه اللغات ، وثقافته الواسعة بها وتؤكد ما ذهبنا إليه سابقًا عند الحديث عن الجانب الثقافي في شخصية ابن ربن .

(٢) راجع مزامير داود - الخامس والأربعين - فقرة (١، ٢، ٧) .

وقد دعتني الغاية بهذا الأمر إلى أن تقصيت الإنجيل، وكتب الإنجيل، وكتب يونس وغيره تقصيًا، وقلبت جميع ذلك قلبًا فوجدت ذلك كله نحوًا من عشرين ألف آية كلها تبوح وتنطق بإنسانية المسيح، وأنه مربوب مبعوث، وبأن الله أقامه من بين الموتى، واختصه بالكرامات، ما خلا كُليمَات نحو العشرة مشكلات، وقد تأولها أهل كل مذهب من النصارى على أهوائهم، ووجدت أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر كاهن، فأما الذين اجتمعوا كلهم من كل فج عميق يعقدوا هذه الشريعة، قد اطّرحوا تلك الآيات الجمة المنقاسة ناحية، وتمسكوا بالمشكلات القليلة التي أنا مفسرها آخر كتابي هذا والتمسوا لها تأويلات مخالفة لمعظم الأصول، خارجة عن المعقول، واستعملوا فيها الأهواء المدخولة التي أظنها مالت بهم إلى ملوك فلاسفة الروم وغيرهم من الدهرية والبنوية، لأنهم زعموا أن خالق الدنيا هو جزء من أجزاء الدنيا، وقد بيّنا آنفًا ما في ذلك من التعطيل.

فقالوا مرة: إن يسوع المسيح أزلي خالق، ثم زعموا أن الشيطان غلبه وقتله، فلو كانوا قصدوا الحق وجدوه أبلجَ واضحًا، ولردوا المشكلات الشاذة على الواضحات لأن الكثيرة هي الأصول والقليلة هي الفروع، وإنما يُرَدُّ الفرع على أصله ويُقاس الجزء على كله، ولا يقاس الكل على جزء، لأنه إنما يستدل على ماغاب بما حضر، وعلى ما أشكل وقلّ بما كثر وظهر، ولئن كان ما قالت اليعقوبية من نزول القديم الأزلي واستحالته لحمًا ودمًا، أو كان ما قال غيرهم من نزوله وحلوله في بطن مريم مرة وفي جسم المسيح أخرى حتى يبلغ من قمع الشيطان واستنقاذ الناس من يده المبلغ الذي يحبُه.

وقد زعمتم أنه لما عجزت الأنبياء عما أراد من ذلك، وَجَّهَ ابنه الفرد لمستشارة الحرب بنفسه وكسر الشوكة من عدوه، وقد رجع ابنه على ما يزعمون، ولم يصنع من ذلك شيئًا، ولا أبطل خطيئة ولا موتًا، وانما كان نزل لذلك وإذا أراد الله أمرًا

فلا مرّد له ، ولا مرضاة لله إلاّ في تمامه .

ولعل الله قد نزل كذلك أيضًا منذ سنين ، واستحال جنبينًا في رحم جارية بتول ، وبقي مصورًا في المشئمة شهورًا كثيرة ، كما قلتم في المسيح ، ولعل أمه لما رأت أنها قد حملت من غير جماع دعاها الحِنّه والأنفة والخوف إلى أن غابت عن بلدها وهربت على وجهها ، وولدت ابنها ، ونشأ الصبي وربيّ ، فهو بعض من ترونه يتردد معكم في الأسواق ويركبه الذباب ، ويمتص من دمه البقه ، ويضربه الشيطان على رأسه ، كما ضرب اليهود على رأس المسيح فيما يزعمون ، فهذا نقض الحجة على اليعقوبية .

فأما على غيرهم ، ممن تقول بالحلول [1] ، فإنه إن صحّ من حلول الأزلي الخالق في المسيح لقد يجوز في قلوبهم أن يكون الله الخالق الأزلي حالاً في بعض غلمان دهرنا هذا ، فهو يتردد معه كما كان يتردد مع يسوع المسيح ، ولعله اليوم صانعًا أو أجيرًا أو أسيرًا لايعرف نفسه ، ولا أن الله حالاً فيه كما لم يعلمه المسيح إلا بعد ثلاثين سنة ، فإن كان هذا بهتانًا وهذيانًا من القول فيحذره حاذر ، ولينظر العاقل لنفسه منكم (ما دام باب التوبة مفتوح) ، وسبب النجاة موجود [2] .

---

(١) الحلول : هو تجسد الخالق في المخلوق بحلوله في بعض الإنسان وامتزاجه به امتزاجًا كاملاً في الطبيعة والمشيئة ، بحيث تتلاشى الذات الإنسانية في الذات الإلهية فيصيران متحدين متجانسين ، وقد عرفت هذه الفكرة في النصرانية بفكرة اتحاد اللاهوت بالناسوت أو حلوله فيه .

(٢) يدل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه مسلم .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) حسنه الترمذي .

دلائل صحة الشريعة ونقضها

وها أنا ذاكرٌ أربعة أوجه لا محيد ولا محيص لكافة النصارى عنها ، فبها يُستدل على صحة الشريعة من نقصها ، ولا سبيل إلى الزيادة والنقصان فيها [1] .

فأولها :

البشارة التي أداها الملك جبرائيل - عليه السلام - عن الله عز وجل إلى مريم الطاهرة أصدق مخبر من أبرّ مخبر وأولى بالاستماع منه والاقتصاد عليه .

الوجه الثاني :

الذي يُضَارِعُ هذا هو النداء المسموع من السماء في المسيح .

الوجه الثالث :

من قوله في يحيى بن زكريا - عليه السلام- الذي شاهد المسيح ، وقال فيه إنه لم يقم عن مثله النساء .

الوجه الرابع :

قول المسيح في نفسه حين سأله يوحنا المعمداني وغيره عن شأنه .

فهذه أربعة وجوه لا مدفع لها ، فمن نبذها وراء ظهره أو حرَّفها أو زاد فيها أونقص منها ، فقد خالف الله صراحًا ، وإن كان هؤلاء قالوا فيه : إنه خالق أزلي ، والأزلي الخالق رفيقه أو قرينه أو ساكنه أو نزيله لا فرقان بينهما في قول ولا فعل . أو كان المسيح قال ذلك في نفسه وشأنه ؛ أوجبنا العذر لمن اعتذر هذه الشريعة ، وإن

(١) راجع هذه الدلائل بنصها في رسالة الحسن بن أيوب إلى أخيه علي فقد نقلها كاملة عن الطبري وهي بتمامها في الجواب الصحيح لابن تيمية الجزء الثالث ط المدني .

كانوا كلهم قالوا بخلاف ما في الشريعة صح عندهم حينئذ أنهم خونة كذبه ، فإنهم قد أسخطوا الله تعالى وخالفوا المسيح وداهنوا الأمة .

نقض الوجه الأول :

وذهبوا إما إلى الغيب ، وإما إلى تحقيق قول الدهرية والثنوية كما بيَّنا أولاً ، فالذى قال جبريل الملك لمريم- عليها السلام- على ما وجد في إنجيل لوقا في الفصل الأول منه :

أن جبريل قال : (السلام عليك أيتها الممتلئة نِعَمًا ، ربنا معك أيتها المباركة في النساء ، فلما رأته مريم ذعرت منه ؛ فقال : لا ترهبي يا مريم ، قد فزت بنعمة من ربك وها أنت تحبلين ، وتلدين ابنا ونسميه يسوعًا ويكون كبيرًا ، ويسمى ابن الله تعالى العليّ ، ويعطيه الله الرب كرسي أبيه داود ، ويكون ملكًا على آل يعقوب إلى الأبد [1] .

قالت مريم :

أنَّى يكون ذلك ولم يمسني رجلٌ ، قال لها جبريل : إن روح القدس يأتيك بقوة العلي الأعلى ، يحل فيك، من أجل ذلك يكون الولد الذي يولد منك قدسيًا

ويُسمى ابن الله العلي ، فلم ترى [2] الملك) .

قال : فما في شريعتكم أن الذي تلدين هو خالقك وخالق الدنيا كلها ، ولا أن الأزلي الخالق يصير ساكنك ولا قرينك ولا نزيلك ، لم يرد على أنه قال : مولودًا مكرمًا كبيرًا ، وأن الله تعالى يعطيه ، وأن داود النبي أبوه ، وأنه يسمى ابن الله ، وقد علمتم – يهديكم الله – أن سُمىَ ابن الله كبيرًا ، فلا يمحصون ، وساء بين ذلك فيما

(١) راجع قصة بشارة سيدنا جبريل إلى مريم البتول في إنجيل لوقا الإصحاح الأول (٢٨ - ٣٥) .

(٢) كذا بالأصل والصواب : تر .

بعد ، لئلا يتعلق متعلق به ، فمن لم يقتصر على ما قال الله عز وجل في المسيح على لسان جبريل ، وزاد عليه أو نقص كان من المعتدين الغاوين .

فأما معنى قول جبريل لمريم : إن الله معك ، فقد قال لموسى وغيره من الأنبياء إنني معكم ، وقال ليوشع ابن نون :

(إني أكون معك كما كنت مع موسى عبدي) .

وتقول النصارى كلهم : إن الله تعالى روح القدس مع كل خطيب يوافقهم في خطبته .

وأما النداء الذي سمعه يحيى من السماء ، وشاهده يحيى بن زكريا ، فإنه أيضًا ، نبذتموه ، أو زدتم فيه ، أو نقصتم منه ، خالفتم الله تعالى ومناديه ، ولزمكم الحجة البالغة فيه .

وقد قال متى في إنجيله في الفصل الثاني :

(إن المسيح أتى يحيى بن زكريا فيمن آتاه ، فلما رآه يوحنا المعمداني ، قال له إني لمحتاج أن أتضع وأعمل على يديك ، وها أنت قد أجبتني إلى ذلك قال له يسوع: ورغبتك هذا ، فقد يجب علينا أن نتمم البركة ، ثم اغتمس في الأردن واتضع على يده) [1] .

وذاك منه اعترافًا بأن مصيره إلى يحيى والاتضاع على يديه من البر والزلفى . وليس مرتبة المقصود إليه : لازدياد البّر منه بدون مرتبة القاصد الراغب فيه .

قال متى في إنجيله :

---

(١) راجع متى ٣ / ١٣ - ١٥ .

(فلما خرج المسيح من الأردن تفتحت له السماء ونظر يحيى إلى روح القدس ، قد نزل من السماء على هيئة حمامة ، وسمع النداء من السماء ، إن هذا ابني الحبيب الذي اصطفيته) [١] ولم ير مناديا من السماء زاد على ما قاله جبريل لمريم -عليهما السلام- شيئًا .

بل أخبر أن الله اصطفاه وسماه ابنًا فقط ، وقد علمنا أن المصطِفي فاعل متفضل ، والمصطَفي مفعول به مُنْعَمًا عليه ، ولم يستنكف المسيح إذ أقر واعترف بذلك مرارًا لا تُحصي كما بيّنَا وقدَّمنا [٢] .

وأما قوله هذا نبي فأعلم الناس بتفسير هذا المعنى المسيح نفسه ، قد فسر دقيقه، لم يدع لمضلٍ خادع فيه مقالاً ، وإن المسيح قال : (ها أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم) .

ولم يَفضل نفسه هاهنا على أحدٍ ، ولم يأنف مما أنِفتم له من العبودية ، لأن من كان له إله فهو عبد مربوب .

وقال لوقا في الفصل الثالث من إنجيله :

(إن يحيى المعمداني أرسل إلى المسيح ، بعد أن عمّده برسالة تقول له : أنت الذي تجيء أو تتوقع غيرك ، فكان جواب يسوع المسيح ، أرسله : أن ارجعوا إليه ، وأخبروه بما ترون من عميان يبصرون ، وزمني ينقصون وصُمٌ يسمعون فطوبى لمن لم يعتدى ويزل في أمري) [٣] .

فلم نره أجاب يحيى المعمداني بمثل ما قلتم ولا قال له : أني خالقك وخالق كل

(١) راجع متى ٣ / ١٦، ١٧ .
(٢) يشير ابن ربن إلى قوله تعالى :
(لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا) (النساء : ١٧٢) .
(٣) لوقا ٧ / ٢٠ - ٢٤ .

شيء كما في شريعة إيمانكم ، ولا أن الخالق الأزلي نازل بي ولا حالٌ فيَّ ، ولا متحد معي ، بل حذر الغلط والاغترار في أمره ، فأما الآيات التي ذكرها ، فقد فعل سائر الأنبياء مثلها وأكثر ، وسنبين ذلك في بابه إن شاء الله تعالى .

ولم نر يحيى بن زكريا وهو زاد فيما ذكرنا بالإنجيل على ما أن قال مثنيًا على المسيح :

(إنه أقوى مني وإني لا أستحل أن أحل مقعدًا حقه) ولم يقل أنه خالقي ، ولا يحل خالقي) .

وقد نقل الرجل الحبر الفاضل مثل ماقال فيه فيما دونه ، تواضعًا ، وخشوعًا، وتوقيًا من العجب ، وقد أتى صاحبه ليزداد به برًا ، وليس المرء شيئًا بدون الراشي ، لذلك في حكم العقول ، فمن خالف هذه الأربعة أوجه وزاد فيها ، فقد ابتدع وضلّ ولم يهتدي ، وإذا عرضتم الشريعة على هذه الأوجه استبان لكم أنها مخالفه لها من أولها إلى آخرها ، وطال تعجب العاقل العادل منها ، ولقد فكرت كثيرًا فما أدري من أين وعن من قالوا ما قالوا.

ولقد قال متى في إنجيله :

(أن يونس [١] لما ظهر له ملك فأمره بإتيان مريم ، ثم أمره بعد ذلك أن يتوجه مع أهله والصبي إلى مصر ففعل ذلك) [٢] .

وفي هذا الباب عجائب لمن تأملها وفهمها ، فمنها :

أن يحيى رأى روح القدس نزل على المسيح كهيئة حمامة ، فخالف قول الملك ليوسف حين أنكر حبلها فإنه قال له :

---

(١) الأصل في أن يوسف خطيب مريم هو الذي ظهر له ملك ، ولعلها حُرفت في نقل الناسخ إلى يونس .
(٢) متى ٢ / ١٣ .

(اضمم إليك أهلك ، ولا يريبك ما ترى ، فإن الذي يتوالد منها هو من روح القدس) [١] .

وان كان المسيح نفسه هو كما قال الملك ، فما معنى نزول روح القدس مرة أخرى ثانية ؟!

ومنها إن كان الله أرسل إلى يوسف النجار ملكًا ، فأنزل عليه وحيًا فهو نبيٌ من الأنبياء ، فهلاً سميتموه نبيًا في الإنجيل ، وقد نبئنا عن الملك ، وأمره الله سبحانه بالمصير إلى مصر ففعل ، وتحت هذا المثل أولئك المجوس الذين ساروا من أرض الشرق في طلب المسيح ، حتى علموا بمولده وحاله، فإن الإنجيل يذكر أنهم ساروا إلى الشام حتى وقفوا على المسيح مقموطًا في الخرق موضعًا في المعلف [٢] .

وإن كوكبا كان يسير بين أيديهم من السماء ، فقد استحقوا اسم البنوة أيضًا؛ لأنهم لا يخلون من أن يكونوا سبقوا إلى علم ذلك بالوحي فهذا هو النبوة التامة، أو أن يكون الشيطان أعلمهم ذلك ، فهو إذًا يعلم الغيب ، ويدل عليه (إجزائه) الكواكب السماوية ، أو يكون أدركوه بالنجوم فهي إذًا تقوم مقام الوحي والنبوة ، فإن لم يصح في هذه الوجوه وجهًا واحدًا ، فالخبر إذًا باطلاً، وإن صح في المجوس أنبياء والشيطان متنبئ على الخير حاثًا عليه ، وأحكام النجوم تقوم مقام النبوة .

ولو ظهرت هذه الآية للقوم الذين وُلد بين أظهرهم ، وبُعث فيهم وإليهم كان أولى وأدعى لهم إلى قبول دعوته من أن يكون يظهر لأهل المشرق على أنا لا نجد في شيء من كتب الأعاجم وأخبارهم شيئًا من ذلك ولا ذكر هذه الكواكب وأيضًا فإنه إن كان يحيى المعمداني إن يرى روح القدس قد نزل على المسيح وسمع النداء من السماء ،

---

(١) السابق نفسه .

(٢) حكاية المجوس ويسوع انفرد بها متى ، وذكرها برنابا في إنجيله . ويُرجع عبد الوهاب النجار أن الحكاية موضوعة . راجع : (قصص الأنبياء ص : ٤٦٠) .

واستقر عنده أن الذي كان قائلاً بين يديه ابن الله الأزلي الخالق ، أو إنسان مُتحد مع الخالق الأزلي ثم لم يجر على وجهه بين يدي خالقه وإلهه ، ولم يُقبل قدمه ، ولم يتبعه من فوره فيصير من تلامذته ، فقد استخف بخالقه الأزلي أو بمن كان الأزلي الخالق حالاً فيه ، وضيّع علمًا سامحًا [1] ، وفوزًا عظيمًا .

وما يصح أيضًا أمته وبني عمه من تركه ، إذا عَد ما سمع ورأى ليعلمه القوم أن خالقهم معهم في صورة أحدهم وإلههم فيهم ، ونبيهم فلا يعصون له أمرًا ولا يزالون له عبادًا خاشعين إلى أبد الآبدين .

ولم يحكى [2] الإنجيل أن يحيى فعل شيئًا من ذلك ، فليس لأنه لم يفعل ما قلناه بالمسيح فقط ؛ بل أنكر معرفته ، وأرسل إليه مستخبرًا عن شأنه ، وكان من قوله : أنت الذي يحيى أو تتوقع غيرك ، فليس كان يحيى أرسل إليه بعد أن رأى ما رأى ، وسمع ما سمع ، فقد شك فيما رأى ، وشأن خبره الأول ، وشك الناس فيه ونفرهم .والمثل في ذلك كرجل مدح رجلاً ، ورفعه دوين السماء .

وآخر شرّفه وكرّمه (وقدم أمامه) ، ثم لم يلبث إذ بعث إليه مسكه ، هل هو ذلك الذي وصفه وامتدحه أو أن ذلك غيره ؟! .

فما يفعل مثل هذه الأشياء إلا مفتعل مرتاب ، ومثل الذي عقدوا هذه الشريعة لكم ومثل المسيح ، كمثل من آمن بنبوة رجل ينتفي من النبوة ، لأن المسيح يقول : إنه مربوب مبعوث ، ويقول جبريل الملك : إنه مكرم مصطفى ، وينادي المنادي من السماء بمثل ذلك .

وينطق يحيى بن زكريا ، ويقول ملك الطائفة المعطلة الدين المتهاونة : هو خالق

---

(١) كذا بالأصل . ولعل الصواب : شامخًا .

(٢) كذا بالأصل . والصواب : يحك .

أزلي لكنه ستر نفسه .

ويقول المسيح وغيره ، ممن سمعنا أنه مُعَطَى ، وأن الله معطيه .

وقال أولئك : إنه رازق النعم وواهبها .

وقال المسيح وغيره من حواريه : إن الله أقامه من بين الموتى .

وقال أولئك : بل هو يقيم أهل الدنيا كلهم بعد أن يموتوا .

وقال المسيح :

إن الله أرسله .

وقال أولئك : نعم في الشريعة بل هو الذي نزل لخلاصنا .

وأضربوا عن ذكر الإرسال ، وقد فسّر مُفسقًا من النسطورية (وهو المفسر) فقال:

إن يحيى المعمداني ، إنما أرسل إلى المسيح مع تلامذته يسأله عن شأنه ، ولأن تلامذته شكوا فيه ، فأحب يحيى أن يسمع كلامه ، ليزول عنهم الشك فيه .

وهذه أغلوطة عظيمة من المفسقان وتمويه ؛ لأن أولئك التلامذه الذين كانوا مع يحيى المعمداني ، إن كانوا شكوا في المسيح ، فما كانوا شكوا في يحيى نفسه ، ولو أنبأهم هو بما كان رأى من نزول الروح عليه ونداء السماء الذي سمعه لما كذبوه بل قبلوه ، ولكانت شهادة يحيى أنور وأكبر من شهادة المسيح .

فقد قال يوحنا التلميذ في إنجيله ما يحقق قولي ويبطل قول المفسقان ، وهو أن المسيح قال :

(لو كنت أنا الذي أشهد لنفسي لما كانت شهادتي حقًا ، لكن غيري يشهد لي) .

فقد أبان بذلك أن ما فسر المفسقان غلطًا ومحالاً وبهتانًا .

أيضًا أن يكون يحيى سمع المنادي وحده ، وعنده ألزمه يعمدون ، أو أن يستمع أمثالهم مثل ذلك ، ثم لا يذيعون ذلك ، وإن كان يحيى النبي وتلامذته قد شكوا في المسيح ، فلا لوم على غيرهم من الشاكين فيه .

ألوهية المسيح

بين الحقيقة والافتراء

دواعى تأليه المسيح :

المسألة عن تسميتهم المسيح إلهًا ، أن يُقال لهم :

لقد أقدتم على أمر فريًا [1] في تسميركم إنسانًا من الناس الخالق الأزلي، ولن ذلك أحد خصالٍ :

إما أن تكونوا جعلتموه إلهًا أزليًا ، أو مسكنا للأزلي الخالق .

- إن كان المسيح قال ذلك في نفسه .
- أو لأن تلامذته الذين نقلوا إليكم دينه قالوا ذلك فيه .
- أولأنه أظهر من الآيات والبينات ما استحق به أن يجعلوه إلهًا .
- أو لأنه صعد إلى السماء .
- أو لعجيب مولده وشأنه .

تفنيد هذه الدواعي :

- فليس مولده وكونه بأعجب من كون آدم بلا أم له ولا أب [2] ، وليس أيضًا مولد المسيح بأعجب من مولد (الملائكة) و(الروحانين) الذين لا والد لهم ، ولا والدة لا طينة ، ولا مادة .

---

(١) كذا بالأصل ، والصواب : فري .

(٢) قال تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) (آل عمران :٥٩) .

ـــــ وإن قلتم إنكم جعلتموه إلهًا لآياته الطاهرة [1] ، فلقد كان سبّاقًا إلى غايات

(1) المعجزة : هي أمرٌ خارق للعادة ، يدعو إلى الخير ، مقرون بدعوى النبوة ، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله ، وتختلف المعجزات باختلاف الرسل ، فإن لكل رسالة تميز حضاري في شيء من الأشياء ، وهنا تأتي المعجزة ملائمة لذلك التميز ، حسب طبيعة ذلك العصر ، فحينما بعث الله موسى بعثه إلى بني إسرائيل ، وقد تميز هؤلاء في عصرهم بالسحر ، فكانت إحدى معجزات موسى - عليه السلام - من هذا النوع ، وعندما أرسل المسيح عليه السلام إلى قومه ، كان للطب أثر واضح في حياتهم ، فكانت معجزاته ملائمة لعصره .
معجزات المسيح .
إن الحديث عن معجزات المسيح يحتاج إلى فحص وتدقيق في ما وصل إلينا من معلومات عن هذا الأمر ، ولو تأملنا في مصادر الحديث عن معجزاته عليه السلام لوجدناها غير خارجة عن نمطين :
أولاً : روايات التاريخ ، وحكايات الكتب التي بأيدي اليهود والنصارى ، وهذا النمط ، قد ثبت بالدليل الراسخ أنه لا يصلح في عملية التوثيق للحديث عن أية مرتكزات للمسيح ، لأن الأصل في الرواية الإسناد المتصل الثابت ، والمتن المتسق الأكد ، وقد أثبت علماء النصارى قبل المسلمين عدم اتصال السند ، وانتفاء اتساق المتن ، وهنا لا ينهض الحديث من خلال هذه المصادر إلى درجة الصحة ، لكننا نستأنس بهذه الأقوال لتعبر عن مرتكزاتهم العقدية فحسب .
ثانيًا : النص الثابت الموثق ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو القرآن الكريم ، دستور رب العالمين الذي تكفل بحفظه منذ إرسال نبيه وحتى قيام الساعة ، والحديث النبوي الصحيح . ولذلك نؤصل الحديث عن معجزات السيد المسيح - عليه السلام - من خلال هذين الدستورين .
يذكر في القرآن الكريم من معجزات المسيح- عليه السلام- سبع معجزات عظيمات وهن :
1) ولادة عيسى بلا أب ، وهذا أمر غير طبيعي بالنسبة للبشر ، يدعو إلى الانبهار الشديد ، والتوقف إزاءه وتدبره ، لأنه آية وعلامة بارزة أرسلها الله عز وجل رحمة للبشر ، لينبأهم بميلاد رسول جديد ، يقول ربنا تبارك وتعالى :
(قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون) (آل عمران : ٤٧) .
(قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرًا مقضيًا) (مريم :٢١) .
2) نطقه في المهد بكلام مفهوم معقول ، كحديث الرجل العاقل الكامل الرشيد . قال تعالى :
(ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين) (آل عمران : ٤٦) .
(قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا وجعلني مباركًا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا) (مريم : ٢٩ - ٣١) .
3) نفخ عيسى عليه السلام ، فيما صنع من الطين على هيئة وشبه الطير ، فدبت فيه الحياة ، وصار طيرًا بإذن الله . قال تعالى : (أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فية فيكون طيرًا بإذن الله) (آل عمران :٤٩) .
4) إبراء الأعمى والأبرص بإذن الله . كان من قدر الله وفضله أن جعل شفاء المرضى الكثيرين على يد عيسى عليه السلام. وهؤلاء المرضى كان قد عجز الطب عن شفائهم بعد وصوله إلى درجة عالية من التقدم والرقي ، ويقول الله تبارك وتعالى (وأبرء الأكمة والأبرص) (آل عمران : ٤٩) .
5) إحياؤه الأموات بإذن الله وقدرته . وقال تعالى : (وإذ تخرج الموتي بإذني) (المائدة : ١١٠)
(وأحيي الموتى بإذن الله) (آل عمران : ٤٩)
6) الإنباء بما هو غير معلوم من طعام القوم ومدخراتهم . وقال تعالى : (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) (آل عمران : ٤٩) .
7) إنزال المائدة من السماء بأمر الله وقدرته . قال تعالى (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين) (المائدة : ١١٤ ، ١١٥) .
هذا هو الثابت الصحيح من معجزات السيد المسيح وقارن في معجزات المسيح وآياته الفقرات الإنجلية في :
متى ١٥ / ٣٤ - ٣٩ .
مرقس ١ /٤٤ ، ٢ / ١ - ١٣ .
يوحنا ٢ /٦ - ١١ ، ٤ /٤٨ - ٥٤ .

المجد لكنه خَبَّر في الإنجيل بأنه مربوب موهوب وأنه راغبٌ راهب وقد فعل النبي اليسع عليه السلام بعض ما يشبه فعله .

- وأنه أحيا في حياته ميتاً وبعد وفاته ميتاً .

- وأحيا إيليا النبي ميتاً وبارك في دقيق العجوز ودهنها ، فلم ينفد ما في جرابها من الدقيق ، ولا ما في قارورتها من الدهن سبع سنين ، وسأل الله سبحانه أن يحبس القطر سبع سنين [1] .

وإن قلتم إن المسيح أطعم من أرغفة آلافًا من الناس فهذا نبي الله وكليمه موسى:

- سأل الله سبحانه فأطعم قومه أربعين سنة المن والسلوى .

- وإن كان المسيح صاح بالبحر فسكتت أمواجه ، فقد ضرب موسى بعصاه البحر ففرقه وعبر قراره خَلقٌ من بني إسرائيل كثير .

- ثم فجّر الحجر القاسى والصحر اثنتى عشرة عيناً، لكل سبط من بنى إسرائيل عيناً.

- وضرب أهل مصر بعشر آيات من العذاب أولها :

أنه ألقى عصاه ، فصارت ثعبانًا ، وابتلعت عصِّي السحرة .

والثاني : أنتن المياه ، وموّت ما فيها من السمك .

والثالثة : أنه أرسل عليهم الضفادع ، فامتلئت زمنها المنازل والعمران .

والرابعة : أنه سلط على أبدانهم القُملَ .

---

(١) راجع سفر الملوك ١٨ / ١٧ - ٢٤ ، ١٧ / ١٠ - ١٦ .

الخامسة : أنه بعث عليهم الذباب وهوَامَّ الأرض .

السادسة : أنه أمات بهائمهم كلها ما خلا دواب بني إسرائيل خاصة .

السابعة : أنه ضرب أبدانهم كلها بالقروح .

الثامنة : أنه أنزل عليهم البرد الذي أفسد أشجارهم كلها .

التاسعة : أنه أرسل في بلدانهم كلها الدماء والجراد .

العاشرة: أنه أتاهم بظلمة ركدت فيهم ثلاثة أيام بالياليها .

فهذه أشهر وأكثر مما يحكيه الإنجيل ، لأنها بحضرة أهل مصر ، وبحضرة بني إسرائيل كلهم .

وإن قلتم إنما سميتموه إلهًا وابنًا لأنه تنبأ على ما يكون بعده ، فقد فعل ذلك عامة الأنبياء ، وإنما سموا بهذا الاسم لذلك .

وإن قلتم إنما سميتموه إلهًا لأنه ادعى فقد ابطلتم فعله ، لأنه أقر أن له إلهًا في قوله وهو مصلوب (يا إلهي يا إلهي لما خذلتني) [(١)] ، وقد قال متى في الفصل التاسع عشر من إنجيله محتجًا بنبوؤة أشعياء في المسيح عن الله أنه قال : (هذا عبدي الذي اصطفيته وحبيبي الذي ارتاحت نفسي له) [(٢)] .

- وقال متى في الفصل الثاني من إنجيله : إن المسيح قال : (إني أشكرك يا أبي ، ملأت السماوات والأرض) .

---

(١) راجع متى ١٥ / ٣٤ .

(٢) قارن هذه الفقرات مع ما أورده نصر بن يحيى في الفصل الذي عقده للحديث عن معجزات السيد المسيح ، وقولهم من خلالها بألوهيته ، فق نقل ابن يحيى جُل ما أورده ابن ربن في هذه المسألة ، قارن ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ومواضع أخرى متفرقة.

- وقال متى في الفصل التاسع من إنجيله : (من عمل بشبه أبي الذي في السماء فهو أخي وهو أختي وهو أمي) .

- وقال متى في الفصل التاسع عشر من إنجيله :(إن المسيح قال لتلامذته : إن أباكم السماوى واحدٌ فردٌ) .

- وقال متى في الفصل العاشر من إنجيله : (إن يسوع انتقل إلى مدينة ناصرة، وقال للناس : ليس من نبي يستحق به إلا في مدينته) .

فاعترف أنه نبيٌ .

وقال متى في الفصل العشرين من إنجيله : (إن المسيح قبل أخذته اليهود يتحرن ويغتم ، ويقول لتلامذته : قد غشيني كرب الموت ، وأنه انتبه قليلاً ، ثم خَرَّ على وجهه، وجعل يبكي ، ويتضرع إلى الله ، ويقول : يا إلهي ، إن أمكن صرف الكأس عني ، فاصرفها ، بل لا يكون ما أشاء بل ماتشاء أنت) .

فكأن قائل هذا القول شاك في قدرة الله ، ونفاذ مشيئته ، لأن من قال يارب ، وإن أمكن صرف هذه البلية عني فعلت ذلك ، فهو شاك في قدرة الله ، ولا يخلو قائل هذا من أن يكون قد علم أن الله لا يعجزه شيء .

فما معنى قوله إن أمكن ذلك ؟ أو قد علم أنه لا يمكنه ذلك ، فما معنى المسألة والتضرع ؟!

ولئن قلتم إن المسيح لم يعلم أنه مقتول ، فما يزعمون أو غير مقتول ، فليس بخالق أزلي ولا مسكن فيه ، وإن كان قد علم ما يفعل به وهو الله ، فإلى من سأل ، وإلى من تضرع ؟! وإن كان لم يعلم ، فليس بإله ، وكيف لم يعلم وقد قال فيما يزعمون :

(الويل لمن يسلم ابن الله على يده ، فلو لم يولد كان خيرًا له) ، وقد علم أن ذلك

حتم من الله تعالى لا مرد له ، فما معنى التضرع والابتهال فيما لا يمكن ولا يكون ؟!

وقال شمعون الصفي رئيس الحواريين في الفصل الثاني من قصص الحواريين التي ألفها لوقا التلميذ : (رجال بني إسرائيل اسمعوا مقالتي : إن يسوع الناصري هو رجل ظهر لكم من عند الله بالقوة والتأييد والعجائب التي أجراها الله على يديه وانكم أسلمتموه وقتلتموه ، فأقام الله يسوع هذا من بين الموتي [(١)] .

فأي شهادة أبين وأفصح من هذا ، وأي رجل عندكم أوثق من شمعون الصفي، وهو يخبر كما ترون أن المسيح رجل وأنه من عند الله وأن الآيات التي ظهرت هي بأمر الله ، وأن الله بعثه من بين الموتى .

وقال شمعون الصفي في هذا الكتاب بعد القول الأول :

(واعلموا يا بني إسرائيل قولاً علمًا يقينًا ، أن الله جعل يسوعًا هذا الذي قتلتموه ربًا ومسيحًا) .

وقال شمعون في الفصل الخامس من هذا الباب (إن إله أبائنا أقام يسوع المسيح الذي قتلتموه ، وأنتم ظالمون) .

وقال لوقا في آخر إنجيله : (إن المسيح عرض لعملوقا ولوقا تلميذه في الطريق ، وهما محزونان ، فقال لهما وهما لا يعرفانه ، ما بالكما محزونين ، فقالا له : كأنك أنت غريب وحدك (ببيت) المقدس ، وان كنت لا تعلم ما حدث فينا في هذه الأيام، من أمر يسوع النّاصِري ، فإنه كان رجلاً تقيًا قويًا في فعله ، وقوله عند الله وعند الأمة ، أخذوه وقتلوه) [(٢)] .

(١) راجع أعمال الرسل الأصحاح ٢٢ ، وقارن بما ورد في النصيحة الإيمانية لنصر بن يحيى ص ١١١ .
(٢) راجع النصيحة لنصر بن يحيى ص ١١٢ .

فهذا قوله ، وقول تلامذته ، فإن كان دينه فيه ، فقد خالفتم تلك الشريعة ، ولزمتكم الحجة .

وإن قلتم إنكم جعلتموه إلها ، لأنه صعد السماء ، فهذا أخنوخ وإيليا صعدا إلى السماء وهما فيها حيّان مكرمان إلى الآن ، ما يشكهما شوكة، أفلا تكفون بهذا عبرةً وبيانًا .

وإن قلتم إنما جعلتموه إلهًا ، لأن الأنبياء سمته إلهًا وربًا ، فاعلموا أن اسم الإله لم يزل واقعًا في اللغة كلها على غير الله .

ومازلت الهند والروم ، والسريانيون ، والعبرانيون ، والفرس ، والقبط يسمون ملكهم إلهًا ، ويسمون النجوم أنوار السماء وآلهة كلها .

وقال موسى - عليه السلام- في السفر الأول من التوراة :

(إن نبي الله دخل على بنات الناس ، وداوهن بروية بارعات الجمال ، فتزوجوا منهن) .

وقال الله تعالى لموسى عليه السلام في السفر من قصة المخرج (إني جعلتك إلهًا لفرعون) .

وقال داود - عليه السلام - وهو يخاطب قومًا بالروح في المزمور الثاني والثامنين - : (قام في جماعة الآلهة) . وهذه الآلهة في العبرانية كما قلنا. فأما من نقله إلى السريانية ، فقد حرفه ، فقال : (أقام الله في جماعة الملائكة) .

وقال في هذا المزمور- وهو يخاطب قومًا بالروح - (ولقد ظننت أنكم آلهة، وأنكم أبناء الله كلكم) فأخبر أن اسم الآلهة واسم النبوة واقعان على الناس أيضًا.

واسم الرب أيضًا واقع على السادات ، فيقال هذا رب البيت ، ورب المال .

وقال أشعياء : (عرف الثور من اقتناه ، والحمار مربطه ، ولم يعرف ذلك بنو إسرائيل) .

وقال داود في المزمور الثامن – مخاطبًا الله عز وجل ، ومبينًا عن المسيح –: (من الرجل الذي ذكرته ، والإنسان الذي أمرته ، وجعلته دون الملائكة قليلاً ، وألبسته الكرمات والمجد ، وملكته على خلقك) .

ويحتج بهذا القول بولص في تثبيت المسيح ، فأخبر داود النبي بأن المسيح رجل وإنسان مأمور ، وأنه دون الملائكة ، لحم ودم .

وقال داود في المزمور العاشر والمائة (وشبه المسيح لملك ردف) ، وقال : (إن الله تعالى أقسم ولم يحلف أنك كاهن إلى الأبد ، مثل ما لردف وما كردف) [١] .

الكاهن هو ابن ارفخشد بن نوح ، وعاش إلى أيام موسى– عليه السلام– فالأب ، والابن ، وروح القدس ، قد اجتمعت الأمم على أن لكل اسم من أسمائهم معنىً ، وان كل اسم لا معنى له لغوٌ وخداع .

(١) راجع داود المزمور ١١٠ / ٤

الأب والابن والروح القدس

ولا غنا بنا وبكم عن معرفة معنى الأب ، والابن ، وروح القدس ، وإن موسى أبان باسمه أو لقبه بلقب ، فقد أنكر فيه وتوقًا وزره ، فكيف بمن سمّا الله بأسماءٍ لا يُعرف معانيها ، وهو لا يأمن أن يكون على سبيل سخطه وفتنة وافتراءٍ .

فإن كنتم سميتم الله بهذه الأسماء على الحقيقة ، امتحناها ، فإن كانت على المجاز والاشتقاق أجرناها ، فقد تسمى الرجل أبًا ووالدًا لوجوه كثيرة :

أولها التوليد .

والثاني : بالاستعارة ، كالصبي يُسمى عمه ، ومن ربَّاه ، أو علمه ، أو أخرجه ، واصطنع إليه معروفًا : أبًا .

ويسمى مشايخ قومه ، وأجداده - أيضًا - أباء ، فقد يقال لآدم : أبو البشر ، وقد سمعت علماء النصارى يقولون :

إنه إنما سمُي الله أبًا إلا لأنه مبدع الأشياء ومولدها .

وكذلك أيضًا معنى الابن لوجوه : إما الولادة ، أو التبني ، فقد يقال إن فلانًا تبنى فلاناً أي ربَّاه ، وعلمه ، وخرجه ، واصطنع إليه معروفًا ، ويقال لأهل الأدب : أبناء الأدب ، وإخوانه .

فإن قلتم : إنكم سميتم الله بهذه الأسماء ، على المجاز ، والاشتقاق ، فهذا جائز : على أنها إذا كانت على المجاز كان فيها بطلان شريعة الإيمان ، وفساد دين النصارى كله : لأن أهل النصرانية مجتمعين على أن لهذه الأسماء حقائق والحقائق

لا تكون مُغطاة متشققة ، بل تكون مكشوفة مُفصحة ، فإنه إن لم يكن الأب والدًا ، فلا معنى لاسم الأبوة ، والبنوة ، في ذلك بطلان الشريعة ، وتكذيبها ، فإن كان الله والدًا ، فلا يخلوا إما أن يكون أولد شيئًا لم يزل ، أو شيئًا مُحْدثًا لم يكن ثم كان ، فإن قلتم إنه أولد شيئًا لم يزل فهذا المحال والبهت .

فإن الذي لم يزل لا يكون مولودًا ، وإن الذي أولد شيئًا لم يكن ، فالأب حادث حدث عنه ، وفي هذا بطلان شريعة الإيمان التي تقول : إنه خالق غير مخلوق ، وقد يحل ما قلتموه بأيسر قول ، وأجز خطاب ، وهو :

إن هذا الابن إن كان أزليًا في شريعة الإيمان : فليس بمولود ، وإن كان مولودًا فليس بأزلي ؛ لأن اسم الأزلية يقع على من لا أول له ولا آخر ، ومعنى المولود : أنه حادث له أول ، وله آخر مفعول مثل قولك : مالٌ ممدودٌ محدودٌ ، ورجلٌ محمود ومذموم ، وولد مولود .

فكيف ما أردتم هذا القول ؟!

دار على بطلان الشريعة ، أو تصير هذه الأسماء لغوًا وحشوًا ؛ لأنه إن كان الابن أزليًا ، فقولكم مولود لا معنى له ؛ بل هو كذب وزورٌ ، وإن كان مولودًا فهو محدث ، وفي المعنيين جميعا بطلان الشريعة .

فمن عبث بالله وسماه بأسماءٍ لا معنى لها ؛ فقد اجترئ على الله العبث ، ومن العبث والهزل أن يقولوا مرة : هو مثل أبيه في قدمه ، ومرة يقولون : إنه ليس مثله لأنه مولود ، فإن هذان الاسمان لا معنى لهما .

فلم قلتم : إن الابن مولود وليس بوالد ، والأب ليس بمولود ، بل والد ، فإن كان عندكم في المجاز أن يُسمى الأزلي القديم ابنًا مولود فسموا الأب إذًا ابنا ، والابن

أبًا ، وإن لا أكبرتم ذلك ، فمعنى الأب إذًا غير معنى الابن ، والأب إذًا والدًا قديمًا والابن مولودًا حادثًا .

ونسألكم أيضًا ، فنقول :

لِمَ سُمي الأب أبًا والابن ابناً ، فإنه إن كان وجب للأب اسم الأبوة لقدمه ، فالابن أيضًا يستحق هذا الاسم بعينه إذا كان أيضًا هو قديم مثله ، وإن كان الأب خالقًا فهو أيضًا خالق ، وإن كان الأب عزيزًا عالمًا تشهد شريعة الإيمان له بذلك في قولها : (إنه نزل لحفظنا ، وإنه خالق الخلائق كلها)

ومن قدر على ذلك لم يكن إلاّ عزيزاً عالماً ، فالابن عزيز عالم .

فهذه المعاني التي قد بينتها (اسم الأبوة ، والبنوة) وفي بطلانها بطلان الشريعة التي تقول : (إنه ولد من الله قبل العوالم) .

وقولكم : إنا نؤمن بالله الأب ، فإذا كانت الاسمان لا معنى لهما ، فكأنكم قلتم: إن الأب مولود ، ولكنه ليس بمولود والله أبًا ، ولكنه ليس بوالد وذلك شبيه بقولكم:

إن المسيح هو الله ، والله ليس بالمسيح ، وأنه بمبعوث ، لكنه ليس برسول وأنه رجل ذو لحم ودم ، ولكنه ليس بعبد .

فهذا كلام قبيح وقول مكفوف ، وأمثالكم من العقلاء لا يقبل مثله ولا يرى تمكين نفسه يتعرَّض لسخط الله ، الذي يقول في التوراة :

(إنه لن ينجو من يدي ناج) .

ولئن كان هذا الضرب من الكلام مقبولاً عندكم ؛ أن يقول قائل :

إن يسوع المسيح مسيح ، لكنه ليس بممسوح ، وإن الإيمان به حق ، لكنه ليس بواجب ، وأن الله خالق ليس بصانع ، فإن كان هذا من الكلام محالاً وسقطاً ، فكذلك ما قبله ، إن كان الابن والأب متكافئين في القدرة والقدم ، فأي فضل وسلطان للأب عليه ، أمره ونهاه ؛ فصار الأب باعثًا والابن مبعوثًا ، والأب متبوعاً مطاعًا (×) .

(×) هنه هي آخر المخطوطة ، ولعل الخاتمة سقطت منها ، ولكن ابن ربن استوعب فيها معظم ما تحدث عنه في فهرست الكتاب الذي أشار إليه في المقدمة ، فتحدث عن السبع المسكتات وأتبعها بمسائل أخرى ، ثم تحدث عن شريعة الإيمان ، ثم شرح بعض الألفاظ والمصطلحات الهامة عند النصارى كأمثال لفظة (الأبوة والنبوة والحلول وغيرها) ، ولعل خاتمة الكتاب هي التي سقطت بعد هذا .... المحقق .

فهرس كتاب الرد على أصناف النصارى

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٩
* الطائفة المباركة وعملها العظيم	١٢
* المؤلف والرسالة	١٦
* ثقافته	١٨
* إسلامه	٢٠
* النتاج العلمى (تآليفه)	٢١
* عصره	٢٤
* مقارنة الأديان	٣٠
* الكتاب والقيمة العلمية	٣٣
* توثيق نسبة الكتاب للمؤلف	٣٦
* منهج المؤلف	٣٨
* منهجى فى تحقيق هذا الكتاب	٤١
مقدمة المؤلف	٤٣
سبب تأليف الكتاب	٤٤
دعوة للهداية والثبات	٤٥
* محتوى الكتاب	٤٦
الفصل الأول (فى السبع المسكتات)	٤٧
المسائل المسكتات (المسألة الأولى من المسائل المسكتات)	٤٨
المسألة الثانية من المسائل المسكتات	٥١
المسألة الثالثة من المسائل المسكتات	٥٢
المسائل الرابعة من المسائل المسكتات	٥٤

المسألة الخامسة المسائل المسكتات ٥٦
المسألة السادسة من المسائل المسكتات ٦٠
المسألة السابعة من المسائل المسكتات ٦١
- فصل ٦٥
- مذهب اليعقوبية ٧١
- عقيدة النسطورية ٧٥
- فقدان المسيح للشرائط الإلهية ٧٦
- الرد على النسطورية ٧٧
- قول اليعقوبية ٧٨
- قلبُ النصارى لأمور الدنيا والآخرة ٧٩
- شريعة الإيمان وفسادها ٨١
- أنواع الفساد والبطلان فى شريعتهم ٨٣
* الوجه الأول ٨٤
* الوجه الثانى ٨٤
* الوجه الثالث ٨٤
* الوجه الرابع ٨٤
* الوجه الخامس ٨٤
* الوجه السادس ٨٥
* الوجه السابع ٨٥
- دلائل صحة الشريعة ونقضها ٨٩
- ألوهية المسيح بين الحقيقة والافتراء ٩٩
* دواعى تأليه المسيح ٩٩
* تفنيد هذه الدواعى ٩٩
- الآب والابن والروح القدوس ١٠٧